

(٣) هدم مسجد (بابرى) فى الهند^(١)

الخطبة الأولى:

أما بعد فىا أيها الإخوة المسلمون:

قُدّر على جيلنا هذا أن يعيش مآسى المسلمين فى كلّ مكان . ولا أدرى: أكان من حسن حظنا أم من سوءه؛ أنّ عصرنا يسمّى عصر الاتصال والاقتراب؟! حتى وصف بعض الأدباء العالم بأنّه قريتنا الكبرى!

لا يحدث حادث فى مشرق أو مغرب، فى شمال أو جنوب، إلّا وعرفه الناس بعد لحظات، وكالات الأنباء تطيرّ الحادث بالصوت وبالصورة .

ولهذا فنحن نرى مآسى المسلمين ونتابعها، نسمعها بأذاننا، ونشاهدها بأعيننا، كأننا نعيشها . فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عاش فى هذه الهموم، همّاً بعد همّ، ومأساة بعد مأساة!

لم نفرغ من مأساة البوسنة والهرسك، لم نفرغ من مأساة فلسطين والمسجد الأقصى - المأساة المزمّنة الدائمة، قضية المسلمين المركزيّة الأولى - لم نفرغ من مأساة الصومال، لم نفرغ من مأساة كشمير وجامو، لم نفرغ من مآسى الجائعين الذين يهلكون جوعاً فى بلاد شتّى .

مآسى وكوارث معظمها فى بلاد المسلمين .

حيثما فتحت المذياع، أو شاهدت التلفاز، وجدت أخبار المسلمين تحزّ فى القلب حزّاً، تصيب القلب فى أعماقه، إذا كان لنا قلوب .

(١) كان ذلك فى السادس من ديسمبر عام ١٩٩٢م، وفى مدينة (أيودھيا) بشمال الهند على أيدي متطرفين هندوس، وقد أدى تدمير المسجد إلى أعمال عنف دينيّة أوقعت ألفى قتيل وشوّهت سمعة الهند . وكشفت التحقيقات عن تورط عدد من الوزراء والمسؤولين الكبار من الهندوس فى هذه الحادثة من بينهم: وزير الداخلىة لال كريشنا أدفانى، ووزير الرياضة أوما بهارتى، ووزير تنمية الموارد البشرية مورلى مانوهار جوشى، ولا تزال لجنة التحقيق الرسميّة تحتفظ بصورهم وأصواتهم مسجّلة على أشرطة الفيديو وهم يهتفون لهدم المسجد (صحيفة أخبار الخليج البحرينيّة: العدد ٨٢٩٤ الصادر فى ١١ رمضان ١٤٢١هـ / ٧ ديسمبر ٢٠٠٠م) و(رسالة الإخوان: العدد ١٦٩ الصادر فى ٢ رمضان ١٤٢٠هـ / ١٠ ديسمبر ١٩٩٩).

أحدث المآسى - وليست بحدیثة - هی مأساة مسجد (بابرى) بالهند، المسجد الذی هدمه الهندوس عبّاد البقر وعبّاد الأصنام، على مرأى ومسمع من مليار وربع مليار أو أكثر من المسلمین فى أنحاء العالم، سمعنا الخبر بأذاننا وشاهدناه بأبصارنا فى التلیفزیون .

كان المسلمون قديماً تحدث لهم مآسى، وقلّما يعرفون عنها إلا بعد أن تحدث بمدة، لم يكن هذا التواصل العالمی .

هُدم المسجد الذی صار له خمسة قرون، بناه ذلك السلطان المسلم العظیم (ظهیر الدین بابر) أحد ملوك المسلمین العظماء فى الهند، وأحد أولئك الأبطال الذین تركوا بصماتهم على تاریخ الهند .

كان هناك السلطان محمود الغزنوی ، والسلطان شهاب الدین الغوری، وهذا السلطان (ظهیر الدین بابر التیمورى) المنسوب إلى تیمورلنك .

من روائع هذا الدین أن التتار (المغول) الذین قضوا على الخلافة العباسیة فى بغداد، وأسالوا الدماء أنهاراً، حتى كانت تسيل من الميازيب، هؤلاء انتصر الإسلام علیهم بعد ذلك مرتین: انتصر علیهم عسكرياً فى (عين جالوت) بقيادة سيف الدین قطز وجيش مصر، وانتصر علیهم معنوياً حين دخلوا فى دین الله مختارين . فى أول الأمر لم يكونوا حسنی الإسلام، ثم حسن إسلامهم، وكان لهم دور فى تاریخ الإسلام وخصوصاً فى الهند .

حكموا الهند قروناً، فتركوا فیها آثارهم، هم الذین أدخلوا إلى الهند مالم يكن معروفاً فى ذلك الوقت .

معظم الآثار التى تفخر بها الهند وتعتبرها من معالم حضارتها، ومن آثار عمرانها ومدنیتها، ومن جاذبات السیاحة التى تجذب إليها الناس من شرق وغرب: تاج محل إحدى عجائب الدنیا السبع^(١)، القلعة الحراء، منارة قطب الدین فى دلهی^(٢)، المنارات الأربع فى حیدرآباد، وغيرها وغيرها، هذه الآثار والمعالم كلها إسلامیة .

(١) بناه الملك (شاه جهان) أحد ملوك الهند، وأراد به تخليد ذكرى زوجته (ممتاز محل) التى لم يكن لحسنها نظیر فى الحسن، ولا لخبه إياها مثیل فى الحب .

(٢) كان قائداً للسلطان شهاب الدین الغورى الذى ملك شمال الهند، ثم ولى الملك من بعده، وهو الذى فتح (دلهی) وبنى فیها منارته المشهورة التى يقف اليوم أمام عظمتها كلّ سائح یرد الهند .

المسلمون في الهند تركوا آثاراً دالة عليهم، كانت الهند في عزلة عن العالم، لا تأخذ من العالم شيئاً ولا تعطى شيئاً، المسلمون هم الذين وصلوها بالعالم. كانت في حالة خمود وركود، المسلمون هم الذين حركوها، هم الذين أحيوا الزراعة، وحفروا القنوات، وصنعوا البرك، وأدخلوا كثيراً من أنواع المزروعات والزهور، وجملوا الحياة، وأنشأوا الحدائق، وبنوا المساجد، وأسّسوا المدارس والمعاهد.

اعترف بذلك المؤرخون الهنود أنفسهم والمؤرخون العالميون، (جواهر نهر) اعترف بفضل المسلمين على الحياة الثقافية والاجتماعية في الهند.

هذا المجتمع الذي يعيش على نظام الطبقات: ما بين البراهمة الذين خلّقوا من فم الإله، والمنبوذين الذين خلّقوا من أقدام الإله، أو لم يُخلّقوا من الإله قط!!!

عرف الهنود المساواة الحقيقية حينما دخل الإسلام الهند، مستهم نعمة من التوحيد فدخل الملايين وعشرات الملايين في الإسلام مختارين.

الإسلام هو الذي عرفهم الحياة الاجتماعية، عرفهم كيف يحترمون المرأة، وقد كانت المرأة عندهم شيئاً من الأشياء أو متاعاً من الأمتعة، كما هي نظرة الجاهليّات عموماً إلى المرأة.

صنع الإسلام الكثير بالنسبة للهنود، وكان من الذين أثروا في تاريخ الهند هذا الرجل باني هذا المسجد، الذي حاول أن يجمع أمراء المسلمين، فقد أراد بعض ملوك الهندوس المشركين أن يفرّقوا بين المسلمين بأن يتولّوا بعضهم ويعادوا بعضهم ويضربوا بعضهم ببعض، فوقف هذا الملك العظيم ضد هذه التفرقة، وحاول أن يجمع المسلمين، وانتصر على الخونة من أمراء المسلمين.

لذلك تجمّع كلّ ملوك الشرك على (ظهير الدين بابر) ليقتلوا جذوره، ولكن الرجل أبى إلا أن يقاتل وجمّع رجاله وقال لهم: هل تبايعونني على أحد أمرين: النصر أو الشهادة؟ - البيعة التي بايع عليها النبي ﷺ أصحابه تحت الشجرة بيعة الرضوان - قالوا: نبايعك، فوضع المصحف، وكان هو أوّل من أقسم عليه، وأوّل من بايع، وبايعه رجاله وجنوده، وقد نصرهم الله على الشرك.

وكان من الاصلاحات العظيمة التى صنعها ومن مشروعاته الكبيرة : بناء هذا المسجد (مسجد بابرى) نسبة إلى (ظهير الدين بابر) .

ولذلك فالمسألة ليست فى أنّ هناك معبداً يريدون أن يقيموه، هذه خرافة .. أسطورة، المؤرّخون المحقّقون قالوا: لم يكن هناك معبد .. هذه أسطورة، كالتى تشيع أحياناً فى بعض قرى الريف ويقول بعض الناس: قد جاءنى فى المنام من يقول إنّ فى الحقل الفلانى أو الغيط الفلانى قبر ولىّ من الأولياء، ويذهب بعض الجهلة والغوغاء ليقيموا قبراً على شىء لا حقيقة له، إنه وهم من الأوهام وأسطورة من الأساطير.

ومع هذا فالواقع يفرض نفسه، وهذا مسجد للمسلمين صار له قرون يصلّون فيه ويقيمون فيه الجمع والجماعات، وتقام فيه الدروس، وتخطب فيه الخطب، فكيف يهدم والمسلمون يرون ويسمعون ويشاهدون؟ ما الذى حدث؟ لقد عرفنا أنّ مسجداً يمكن أن يهدم والحرب قائمة، ورحى الحرب دائرة، تنزل عليه قبيلة تهدمه أو نحو ذلك . يمكن أن ينزح ناس من منطقة، فيتركوا مسجدهم فيحوّله أعداؤهم إلى متحف من المتاحف، أو إلى كنيسة من الكنائس، كما صنع بمساجد المسلمين فى الأندلس، بعد أن أجبر المسلمون على التنصّر أو الهجرة أو القتل - يختارون إحدى هذ الثلاث - فتركوا مساجد عامرة وجوامع شامخة، فمنها ما حوّل إلى متاحف، أو حوّل إلى كنائس، أو حوّل إلى أشياء أخرى .

رحم الله أبا البقاء الرندى الذى رثى الأندلس بعد سقوط غرناطة آخر مدن الأندلس فى قصيدته الشهيرة التى ينبغى أن يحفظها أبناء المسلمين ويتغنّوا بها، حينما قال :

لكلّ شىء إذا ماتمّ نقصان
فلا يغرّ بطيب العيش إنسان
تلك الأمور كما شاهدتها دول
من سرّه زمن ساءته أزمان
إلى أن قال :

تبكى الحنيفيّة الغراء من أسف
كما بكى لفراق الإلف هيمان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة
حتى المنابر ترثى وهى عيدان
على بلاد من الإسلام خالية
قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهنّ إلا نواقيس وصلبان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

هذا ما رثاه أبو البقاء الرندي عن مساجد الأندلس، وقد قتل أهلوها
أوهجروا أو أُجبروا على التنصّر الظاهري في أوّل الأمر، إلى أن تحول بمرور السنين
إلى تنصر حقيقي. ثمّ ذهب الإسلام من تلك البلاد التي عاش فيها أكثر من
ثمانية قرون، وأقام المسلمون فيها حضارة رفيعة البنيان.

أمّا مشكلتنا أو مأساتنا هذه، فهي مأساة مسجد أهله باقون لم يرحلوا،
وليس هناك حرب دائرة، ولا قبيلة تسقط.

أن ينوى أناس ويصمّموا ليهدموا مسجد المسلمين، والمسلمون أحياء
ينظرون ويشهدون، هذا ما لم نره ولم نسمع به! هذا تحدّد لهذه الأمة، هذا اختبار
لقوة هذه الأمة.

أهذه الأمة حيّة أو ميتة؟ أهذه الأمة نائمة أم يقظي؟ أهذه الأمة ساكنة أم
متحرّكة؟ أهذه الأمة تسمع أم بها صمم.. تنظر أم بها عمى؟ ما الذي يحدث؟
ألف مليون أو يزيدون، بضع وأربعون دولة أو تزيد، ما بال هؤلاء لم
يتحرّكوا كما ينبغي؟ احتجّوا، ولكنّه احتجاج هامس ضعيف خافت، نريد
احتجاجاً جهيراً صارخاً يسمع الصمّ، إن الهمس ينيم اليقظان، لكن الصراخ
يوقظ النائم.

لانريد نوح الحمام، نريد زئير الأسود. نريد دويّاً يملأ الآفاق، ويُسمع هؤلاء
الناس أنّ المسلمين لا زالوا أحياء، وأنّ المسلمين لحمهم مُرّ، وأنّ المسلمين
يغضبون لمقدّساتهم، وأنّ المسلمين يحمّون لحرّمتهم.

لابدّ من هذا الدوي الإسلامي، أما أن تحدث احتجاجات متفرقة متناثرة
حيية خجولة، فهيهات أن يكون لها صدى.

لماذا لا يجتمع المؤتمر الإسلامي؟ لماذا لا يجتمع مؤتمر القمّة؟ القضية اختبار
لنا، والله لو سكتنا على ذلك لأمكن لليهود بعد ذلك أن يحطّموا المسجد
الأقصى، وهم يعرفون أنّ المسألة لاتعدو أن تكون عدّة احتجاجات واحتجاجات
ليست قويّة كما ينبغي. ثم ينتهي الأمر!

الذين يدرسون ويقرأون يعرفون أن اليهود قد أصدروا خريطة لإسرائيل ليس فيها المسجد الأقصى، أى أن هذه هي خطتهم المستقبلية: أن تكون القدس بلا أقصى وأن يبنوا هيكلهم المزعوم على أنقاض الأقصى، ولا نستبعد شيئاً من ذلك، كلّ الأمور التي استبعدناها قامت وتحققت. ما كان أحد يظن أن تقوم دولة لإسرائيل، رفضنا التقسيم ورفضنا غير التقسيم، وبعد مدّة من الزمن أصبحنا نقول: ليتنا قبلنا ما كان بالأمس وأول الأمس.

هذا اختبار لهذه الأمة، اختبار لقوتها، وما يمكن أن تصنعه أمام الذين أشركوا، وما يمكن أن تصنعه أمام الذين هادوا، وهناك حلف نجس دنس بين اليهود والذين أشركوا، وقد خبرنا القرآن أنّهما أشدّ الناس عدواة للذين آمنوا ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

المئات الآن يقتلون، أكثر من تسعمائة قتيل، وبعضهم يُحرقون أحياء، ولا يتحرك أحد، يا لله للمسلمين.

لو كان هذا المسجد كنيسة يهودية أو كنيسة نصرانية أو بيعة أو معبداً مجوسياً أو أىّ شيء، لقامت له الدنيا ولم تقعد، أمّا نحن المسلمين فقد أصبحت كلّ أمورنا هيّنة. هنا على الناس لأننا هنا على أنفسنا، فهانت علينا مقدساتنا وحرماننا.

الهندوس موجودون في بلاد المسلمين بالملايين، ويحوّلون المليارات إلى بلادهم من أيدي المسلمين، لتتحوّل هناك إلى خناجر وطلقات رصاص وسكاكين تقتل المسلمين وإلى فؤوس ومعاول تهدم مساجد المسلمين.

وطالما قلنا من قديم ما جاء في الحديث النبوي: « لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقياً »^(١)، حتى المسلم العاصي ينبغي أن لا يأكل طعامك، فما بالك بالمشرك الذي لا يلتقى معك في شيء؟!؟

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، وقال النووي في رياض الصالحين بعد عزوه لابي داود والترمذى: وإسناده لا بأس به، وهو من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه (فيض القدير: ٦/٤٠٤ برقم ٩٨٠٨).

الإسلام أجاز للمسلم أن يتزوج الكتابية لضرورة أو حاجة معينة، ولكنه لم يجز له أن يتزوج مشركة: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ وَلَأُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ومع هذا يُدخل المسلمون هؤلاء إلى بيوتهم ويعايشونهم، يراوحنهم ويغادونهم، ويصاحبونهم ويماسونهم! لا بدّ أن يكون لنا وقفة، وقفة مراجعة أمام هذه القضايا. لا بدّ أن يعرف الناس أن المسلمين أمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

يجب أن نراجع أنفسنا في مواقفنا مع كلّ من يُعادي الإسلام، ومع كلّ من يغتال حرّات المسلمين. لا بدّ من وقفة.

المسلمون متهمون بالتعصّب: المسلمون متعصّبون.. المسلمون متطرّفون.. المسلمون إرهابيون، والمسلمون هم الذين يُذبحون ويقتلون، دماؤهم تُسفك، وأعراضهم تُهتك، وحرّاماتهم تُنهتك، ومساجدهم تدمر، وبيوتهم تهدم. هذا هو أمر المسلمين.

يوم ملك المسلمون الهند ويوم كانوا هم حكامها، ماذا صنعوا؟ عاشوا في غاية من التسامح مع الفئات الأخرى من الهندوس والسيخ والمجوس والبوذيين. كانوا أكرم الناس معهم، وأعدل الناس معهم، لأنّ هذا ما يفرضه عليهم الإسلام. المسلمون هم الذين قاوموا الإنجليز، قاوموا الإنجليز ببسالة، وتاريخ المسلمين في كفاح الاستعمار الإنجليزي تاريخ مشهود.

للأسف نحن المسلمين قلّمنا نقرأ التاريخ، وقلّمنا نعرف تاريخ الأمة الإسلامية وخصوصاً بعد ظهور النزعة القومية، قلّمنا نهتمّ - نحن العرب - بغير العرب، ولا نعرف ماذا صنع المسلمون الذين قاوموا الاستعمار الإنجليزي منذ السلطان (تيبو)، ذلك الرجل العظيم الذي قاوم الانجليز إلى أن قُتل، وقد أبى إلا أن يستشهد ولا يؤسر، وقال كلمته الشهيرة: لان أحيا يوماً وحداً حياة الأسد خيرٌ من أن أحيا مائة سنة حياة الفئران! لم يرد أن يكون جرذاً أو أن يكون ابن آوى على حدّ تعبيره، وإنما أراد أن يعيش أسداً، إمّا أن يعيش عزيزاً وإمّا أن يموت كريماً، وقد مات .

الإنجليز عرفوا هذا، ويوم قتل السلطان (تيبو) قالوا: اليوم طابت لنا الهند . وكان يمكن لهذا السلطان أن ينتصر على الإنجليز، وأن يهزمهم شرّ هزيمة، لولا خيانة بعض الملوك من الهندوس ووقوفهم بجوار الإنجليز المحتلّين . المسلمون ليسوا متعصّبين، المسلمون متسامحون، وربّما كانوا متسامحين في بعض الأحيان أكثر من اللازم .

لكن التعصّب إمّا هو من غير المسلمين، كلّ الفئات تتعصّب ضد المسلمين ويوالى بعضها بعضاً إذا كان العدو هو الإسلام . كثيراً ما يختلفون فيما بينهم، فإذا كان العدو المشترك هو الإسلام اتفقوا عليه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَظْمِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣] . ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [الجاثية: ١٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] .

فعلينا أن يوالى بعضنا بعضاً، وأن يساند بعضنا بعضاً وأن يشدّ بعضنا أزر بعض، حتى لا نؤكل لقمة سائغة، حتى لا تدوسنا الأقدام، حتى لا يفترسنا أولئك الظلمة الطغاة .

كان الناس قديماً يقولون: (أذلّ من يهودى)، كان اليهودى يُضرب مثلاً

فى الذلّة. الآن كان المثل يقول: أذلّ من مسلمة! لأنّ المسلمة تُنتهك حرمتها من صربى متوحش حاقد صليبي ولا يغضب لها المسلمون، ولا تجد (معتصماً) يقول لمن نادته: واغوثاه: لبيك يا أختاه! والمساجد تهدّم ولا نجد الذى يغضب لحرمة الإسلام وقدسيّات الإسلام.

أصبحنا أذلاء للأسف.

لم هذا؟ ما الذى جعلنا نذلّ ونستخذى ونحن خير أمة أخرجت للناس، وعندنا مصادر القوة، وعندنا المقدرة أن نتبوا مكانتنا تحت الشمس؟

عندنا القوة المادية، والقوة البشرية، والقوة الروحية، عندنا كلّ القوى التى تجعل منا أمة عظيمة، لو أننا استفدنا من إمكاناتنا وطاقاتنا.

يكفى أنّ عندنا الإسلام، فهل نستمسك بهذه العروة الوثقى؟ وهل تجتمع كلمتنا عليها؟ وهل نعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرّق؟

لقد فرقتنا أهواء شتى، ومصالح مختلفة، جعلتنا نرى هذه المآسى ولكننا مشغولون عنها، مشغولون عنها بأمر كثيرة: بحرب الأصوليين. . بالنزاع الحدودى. . بالقتال الكروى. . بالملاهى. . وبكذا وكذا.

أمر كثيرة شغلنا عن أخطر القضايا وأعظم المآسى، التى ينبغى أن يعيش الناس لها وفيها صباح مساء، تؤرّق عليهم ليلهم. وتنغص عليهم نهارهم.

أول ما نطلبه من المسلم هنا: الوعى الذى ينكّد عليه، نريد أن يحزن لمصاير المسلمين، لا ينبغى أن يضحك لناسنّ، لا ينبغى أن يبتسم لنا ثغر وهذه المآسى قائمة فى حياة الأمة الإسلامية.

المشركون من قريش بعد أن هزموا فى بدر، حرّموا على أنفسهم البكاء والنشيج والعويل، اعتبروا هذا يخفّف عنهم، قالوا: لا بكاء ولا نشيج ولا عويل حتى نأخذ بثأرنا. خرج بعضهم فسمع من يقول شعراً ينشد فيه، فظنّ أنّه قد سُمح بقول شعر يرثون فيه الموتى ويبكون عليهم، فقليل له: إن فلاناً قد ندّ بعيره

فهو يقول الشعر يندب حظّه في ضياع البعير، فقال: يبكي بغيراً ولا يبكي
قتلانا!

فعل المشركون ذلك، ولم يبيحوا لأنفسهم هذا التغني بشعر الحزن والبكاء
إلا بعد أن يأخذوا بالثأر، وهذا ما فعلوه بعد أحد.

هذا موقف الناس الذين يريدون أن يعيشوا رجالاً أحراراً.

إنّ مسجد بابرى هذا اختبار للأمة الإسلامية: أتغار على حرمانها أم
لاتغار؟ أتستطيع أن تقول كلمة مسمعة، أم تكتفى بالهمس والقول الخافت
والاحتجاج المؤدب المهذب، الرفيق الرقيق، اللطيف الخفيف، إكراماً للهند
الكبرى؟ الهند الصديقة؟

لابدّ أن يسمع الناس صراخنا وزئيرنا ودوى أصواتنا من أجل حرماننا، هذا
ما يجب على الأمة الإسلامية، لا ينبغى أن نتهاون في حرماننا فتذهب كلّ
حرماننا بعد ذلك، لأنّ من فرط في الصغير فرط في الكبير.

المسألة ليست مسألة مسجد، يمكن أن يبني المسلمون مسجدهم، ويمكن
أن تبني الحكومة الهندية مسجداً بعد ذلك، ولكن أن يهدم معلم من معالم
المسلمين، ومسجد يتعبدون الله فيه صار له قرون، وتتحدى الأمة الإسلامية ولا
تواجه هذا التحدي. . هذا هو الخطر، الذي يمكن أن يحيط بهذه الأمة.

أيها الإخوة: إنّ الإسلام هو عزتنا في الدنيا وسعادتنا في الآخرة. ينبغى أن
نستمسك بالإسلام ونغار على كلّ حرمان الإسلام، وعلى كلّ مقدّسات
الإسلام.

لابدّ للمسلمين أن يقفوا كتلة واحدة أمام الباطل وأمام الكفر الذي
يستفزهم، ولا يبالي بهم، وكأنهم غناء كغناء السيل.

ندعو الأمة الإسلامية أن تستمسك بالإسلام وبعرى الإسلام، وتنادى فيما
بينها لتقف صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور
الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد، فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم
يدعو الله بخير إلا استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة. (١)

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنينا التي فيها
معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير،
وأجعل الموت راحة لنا من كل شر.

* * *

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه، أن رسول الله ﷺ ذكر
يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه»
وأشار بيده يقللها. والمراد بالساعة هنا (معناها اللغوي) وهو: برهة من الزمن، ولهذا قال: وأشار
بيده يقللها. وأما تعيين الساعة فقد اختلف العلماء فيها اختلافاً كثيراً، وأفاض ابن القيم في ذكر
أقوالهم ورجح منها قولين: أحدهما: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، والثاني: أنها بعد
العصر، قال: وهذا أرجح القولين. انظر (زاد المعاد: ١ / ٣٨٨ - ٣٩٧) بتحقيق الأرنؤوط،
(و) المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقضاوى: ١ / ٢٤١ - ٢٤٣).

(٤) طاعون الهند

الخطبة الأولى :

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

يشغل الناس في هذه الأيام حدثٌ جليل، هو ذلك الطاعون الذي أصاب الناس في الهند، وأصبح يهدد الآلاف بالموت السريع والمفاجيء .

وهذه إحدى العجائب التي يصنعها الله في هذا الكون، يسلط على الناس الأمراض والأوبئة إذا أخلوا بسننه أو ابتعدوا عن تعاليمه، فسرعان ما تصيبهم الآفات، وتفتك بهم الأوبئة والأمراض .

في أوربا وفي أمريكا وفي غيرها عرف الناس مرض الایدز الذي يفتك بالملايين ويهدد ملايين آخر، ولم يعرف الناس له علاجاً إلى اليوم . هذا المرض أصاب الناس نتيجة البعد عن وحى السماء وعن شرائع الأديان، نتيجة التحلل الجنسي، نتيجة الإباحية التي أحلوا فيها الزنا الذي حرّمه الله، وحرّمته جميع الأديان، ولم يحرّمه الإسلام وحده، حتى أنّ المسيح عليه السلام قال في الانجيل الذي يؤمنون به : « لقد كان من قبلكم يقولون : لاتزنى، والحق أقول لكم من نظر بعينه فقد زنى »، وهو نفس ما قاله النبي ﷺ : « العينان تزنيان، واليدين تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزنى » (١)، « إنّ الله تعالى كتب على ابن آدم حفظه من الزنا، أدرك ذلك لامحالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » (٢) .

(١) رواه أحمد والطبري عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال الهيثمي : سنده جيد، وقال المنذري : صحيح، ورواه عنه أيضا أبو يعلى والبزار ورواه ابن حبان عن أبي هريرة، قال ابن حجر : وأصله في البخارى (فيض القدير للمناوى : ٤ / ٣٩٨ بقرم ٥٧٥١) و(المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى : ٢ / ٥٤٨ بقرم ١٠٩٠) و(كشف الخفاء للعجلونى : ٢ / ٧٧ بقرم ١٨٩٩) .
(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى، عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال ابن حجر : ورواه أحمد والطبرانى أيضا (فيض القدير للمناوى : ٢ / ٢٤٦ بقرم ١٧٦٢) و(شرح السنة للبلغوى بتحقيق الأرنؤوط والشاويش : ١ / ١٣٧ بقرم ٧٥) و(المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٥٤٨ بقرم ١٠٨٩) .

سلط الله على هؤلاء هذا (الايديز)، ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً رغم تقدمهم في العلوم والأدوية والتكنولوجيا، ولكن كان هذا جزءاً وفاقاً، لما انحرفوا به عن سنن الفطرة وسنن الله، وأباحوا الزنا وأباحوا الشذوذ الجنسي: أن يستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء بل أن يتزوج الرجال الرجال وتتزوج النساء النساء!! وبارك ذلك بعض القسس وتعقد لهم الكنائس هذه العقود الباطلة النجسة!!

فلا غرو أن سلط الله عليهم هذا الطاعون الذي يسمونه (الطاعون الأبيض)، والنبى ﷺ سماه (الطاعون) من قديم في الحديث الذي رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقى عن ابن عمر، أنه عليه الصلاة والسلام قال: « . . . لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا» (١).

هذا ما حدث هناك، واليوم يحدث هذا الطاعون القديم الجديد، يحدث في الهند، والعجيب أنه يصيب الهندوس ولا يصيب المسلمين! ما السر في هذا؟ السر في هذا أن هذا مرض وبائي سببه ميكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان، والهندوس من مذهبهم أنهم لا يقتلون ذا روح، لا يقتلون فأراً ولا يقتلون برغوثاً.

الشيء الوحيد الذى يُباح قتله عندهم من ذوى الأرواح هم (المسلمون)! فهم يقتلون المسلمين فى كشمير وفى بابرى وفى بومباى وفى غيرها، أما تلك الأرواح من القوارض والحشرات فلا يجوز الاعتداء عليها! وعندما كنت فى الهند منذ سنوات ونزلت فى فندق يملكه الهندوس، وهو من أكبر الفنادق فى نيودلهى، كان هناك بعوض نشكو منه، وطلبنا منهم بعض المبيدات التى تقتل البعوض، فقالوا: هذا لا يوجد عندنا ونحن لا نوزع هذه الأشياء، لأن البعوض روح محترمة!

ومنذ مدة من الزمن أصابت الهند مجاعة، لأن الفئران أكلت القمح، وطلبوا المعونات، وجاءتهم المعونات من أمريكا وغيرها، ولكن وقف بعض

(١) جزء من حديث رواه ابن ماجه والبزار والبيهقى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى، عن ابن عمر رضى الله عنه. انظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: الحديثان ٣٩٩، ١٤٣٣).

الأعضاء فى الكونجرس الأمريكى يقولون: لماذا نعين هؤلاء الناس وهم لا يعينون أنفسهم؟! إنهم تركوا الفئران تأكل القمح دون أن يبيدوها.
هذا ما يصنعه هؤلاء.

ولذلك لا عجب أن انتشر هذا الطاعون بينهم هذا الانتشار الفظيع، ولكن الخطر يمكن أن يضمّ الجميع: المسلمين وغيرهم، بسبب هذه البراغيث التى تنتقل من مكان إلى مكان.

هذا الطاعون مرض وبائى خطير، والنبي ﷺ جاء عنه فى الحديث: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليها، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه» (١) لا تدخلوا فيها حتى لا تعرّضوا أنفسكم للهلاك، فالمسلم لا يجوز أن يضرّ نفسه ولا أن يضرّ غيره «لا ضرر ولا ضرار» (٢)، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فلا يجوز أن يقحم المسلم نفسه فى الخطر.

وكذلك ينبغى حصار المرض فى أضيّق نطاق، فلا يجوز أن يخرج الإنسان من القرية أو البلدة التى أصيبت بهذا الداء.

لم يكن الأقدمون يعرفون السرّ فى هذا، ولكن عرفنا ذلك ووجدناه من دلائل نبوة محمد ﷺ: إن الإنسان قد يكون ظاهر الصحة فى البلد الموبوء، وهو يحمل الميكروب ولا يدرى ولا يشعر، فإذا انتقل إلى بلد آخر أصاب الأصحاء، فلهذا طلب من الناس أن يبقوا فى بلد الوباء ولا يخرجوا منه.

ولكن هذا فى القرية الموبوءة أو البلدة الموبوءة، أمّا الهند، وهى شبة قارة كبيرة، فيجوز للناس البعيدين عن هذا الوباء - من أهل الخليج وغيرهم - أن يعودوا إلى بلادهم، لأنهم ليسوا فى قرية الوباء، ويمكن أن يعرف: هل يحملون الميكروب أو لا؟، وأن يأخذوا الأمصال الواقية قبل دخولهم إلى بلدانهم.

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى عن عبد الرحمن بن عوف، ورواه النسائى عن أسامة بن زيد (فيض القدير للمناوى: ١/٣٨٣ برقم ٧٠٠).

(٢) رواه أحمد وابن ماجة عن ابن عباس، قال الهيثمى: رجاله ثقات، وقال النووى فى الأذكار: هو حسن وقال العلائى: للحديث شواهد ينتهى مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به (فيض القدير للمناوى: ٦/٤٣١ برقم ٩٨٩٩).

إنّ الإسلام قد حافظ على صحّة الإنسان، ولو أنّ المسلمين اتبعوا تعاليم دينهم وأحكام شرعهم لكانوا أصحّ الأمم أجساداً، وأقواهم أبداناً، لأنّ تعاليم الإسلام تُنشئ الصحة والعافية، تُنشئ المؤمن القوى وهو «خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف» (١).

إنّ أوّل ما يدرس المسلم وأوّل ما تدرسه المسلمة من فقه الإسلام: (باب الطهارة)، أى: النظافة، الطهارة مفتاح الصلاة كما أنّ الصلاة مفتاح الجنّة، الطهارة من الأحداث والطهارة من الأخباث. والطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالغسل. وهناك أسباب موجبة للغسل، وأسباب يندب من أجلها الغسل.

وينبغي للمسلم أن يغتسل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً إذا وجد بدنه عرقان أو مُتسخاً، وخصوصاً عندما يلتقى بالآخرين، ولهذا جاء فى الحديث: «غسل يوم الجمعة واجب على كلّ محتلم» (٢)، وفى الحديث الآخر: «حقّ لله على كلّ مسلم أن يغتسل فى كلّ سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده» (٣)، يجب على المسلم أن يغسل رأسه وجسده فى الأسبوع مرّة كحدّ أدنى.

هذا ما عرفه المسلمون فى وقت كان الرهبان النصارى فى أوروبا يعتبرون النظافة ممّا يبعد عن الله! ويعتبرون القذارة ممّا يقرب إلى الله! حتى أنّ بعضهم مدح أحد الرهبان فقال: إنّه عاش طول عمره ولم يقترب من غسل الرجلين! وقال: لقد كان من قبلنا يعيش أحدهم عمره ولا يبيل أطرافه بالماء، ولكننا وا أسفاه أصبحنا فى زمن يدخل فيه الناس الحمّامات!!

وإنّما دخل الناس هناك فى أوربّا الحمّامات عدوى من المسلمين، انتقلت إليهم من قرطبة وغرناطة والأندلس وغيرها.

الإسلام يعتبر الطهارة من الأحداث والطهارة من الأخباث - طهارة الثوب

(١) انظر تخريجه فى صفحة (٢١).

(٢) رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٤/٤٠١ برقم ٥٧٦٣).

(٣) متفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٣/٣٩٥ برقم

(٣٧٤٧).

والبدن، والمكان - من شروط صحّة الصلاة، وشاع عند المسلمين هذه الكلمة التي لم تشع عند أمة من الأمم: (النظافة من الإيمان)، وهي مقتبسة من حديث في صحيح مسلم: «الطهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ»^(١) أى: الطهارة نصف الإيمان، وهي تشمل: طهارة البدن وطهارة القلب، الطهارة المادية والطهارة المعنوية.

الإسلام جاء وشرع الطهارة والنظافة:

نظافة الإنسان كلّه بالغسل .

نظافة الأعضاء التي تتعرّض للأتربة وللأتساخ بالوضوء .

نظافة الشعر « من كان له شعر فليكرمه »^(٢) .

نظافة الفم والأسنان « السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب »^(٣) .

نظافة الأنف بالاستنشاق، فقد شرع في الوضوء المضمضة والاستنشاق،

وهما من فرائض الوضوء في مذهب الإمام أحمد .

الطهارة للإنسان كلّه، والنظافة للإنسان كلّه .

وشرع مع ذلك نظافة البيت: « نَظَّفُوا أَفْنِيَتِكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ »^(٤) .

وشرع نظافة الطريق: « مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طَرَقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ

لَعْنَتُهُمْ »^(٥) .

(١) قطعة من حديث رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري (فيض القدير: ٤ / ٢٩٠ برقم ٥٣٤٣) .

(٢) رواه أبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه، رمز السيوطي لحسنه وحسنه كذلك ابن حجر فى الفتح . وانظر (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٢٠٨ برقم ٨٩٧٤) .

(٣) رواه أحمد عن أبي بكر الشافعى، ورواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقى فى السنن عن عائشة رضى الله عنها، ورواه ابن ماجه عن أبي أمامة، ورواه البخارى تعليقا بصيغة الجزم، وقال الهيثمى: رجاله ثقات إلا أن عبد الله بن محمد لم يسمع من أبي بكر، وقال ابن الصلاح: إسناده صالح، وقال البغوى: حديث حسن، قال النووى فى رياضة أسانيد صحبه (فيض القدير للمناوى: ٤ / ١٤٧ برقم ٤٨٣٢) .

(٤) رواه الترمذى جزءاً من حديث وضعفه، وذكر الشيخ الألبانى فى تخريج (الحلال والحرام) للقرضاوى: أن له طريقاً آخر عن سعد بإسناد حسن .

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير - عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه - بإسناد حسن، وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح إلا شيخ الطبرانى وشيخه وهما ثقتان (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ١ / ١٣٩ برقم ٩٨) .

ولهذا اعتبر إمامة الأذى من الطريق صدقة^(١)، فكلّ ما يؤذى الناس - ولو بالرائحة الكريهة - يجب أن يُزال.

ومنع النبي ﷺ البول في الماء الراكد أو الماء الدائم، ونهى عن الاغتسال فيه، ونهى عن البول أو التبرز في الماء أو في موارد الماء أو في الطريق أو في الظلّ، واعتبر هذا من الملاعن، أى: التي تجلب لعنة الله ولعنة الناس على فاعله^(٢).

هكذا جاء الإسلام بالنظافة، وهى من أهم أسباب الوقاية. وجاء الإسلام يدعو المسلمين إلى الحركة وإلى النشاط، ويستعيذ بالله من العجز والكسل، هكذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله منهما^(٣)، ويعلم أصحابه أن يستعيذوا منهما.

واعتبر من خصائص المسلم الملتزم أنه إذا أصبح، أصبح طيب النفس نشيطاً، أمّا غيره فيصبح خبيث النفس كسلان^(٤).

ودعا إلى البكور: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(٥)، ليتلقّى الإنسان الصباح طيباً من يد الله تعالى قبل أن تلوّثه أنفاس العصاة، ويتلقّى هذا النسيم المبارك من بدء اليوم، جاء الإسلام ودعا إلى هذا كلّهُ.

(١) أورد الحافظ المنذرى فى (الترغيب والترهيب) عدداً من الأحاديث الدالة على ذلك، فلتراجع فى (كتاب الأدب / الترغيب فى إمامة الأذى عن الطريق).

(٢) ذكرت عدداً من الأحاديث الدالة على هذه المسائل فى هامش الصفحتين ٢٣ ، ٢٤ (خطبة: الرياضة فى الإسلام).

(٣) مثلما جاء فى الدعاء المأثور: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهَرَم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات» رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن أنس رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ١٥٢/٢ برقم ١٥٥٥).

(٤) من حديث متفق عليه عن أبى هريرة . كما فى (اللؤلؤ والمرجان) برقم (٤٤٤) (القرضاوى).

(٥) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى: حديث حسن (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ٥٠٠/٢ برقم ٩٤٥).

ودعا إلى أن يداوى الإنسان نفسه إذا مرض، والنبى عليه الصلاة والسلام تداوى وأمر أصحابه بالتداوى، وحينما سأله الأعراب: أنتداوى يارسول الله؟ قال: «نعم يا عباد الله، تداووا فإن الله ما وضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم» (١).

وضع النبى ﷺ مبادئ خالدة هي تعتبر حجر الأساس لقيام صرح طبيّ سليم مشيد على أسس قويّة.

النبى عليه الصلاة والسلام قرّر حقّ البدن بعبارات صريحة تسمع لأول مرّة فى جوّ الدين، كان الناس يعتقدون أنّ البدن هذا ينبغي أن يُعذّب حتى تصفو الروح. هذا ما عرفته الأديان والفلسفات السابقة: المانويّة فى فارس، والبوذيّة فى الصين، والبرهمنيّة فى الهند، والرواقية فى اليونان، والرهبانيّة عند النصارى، كلّ هؤلاء جاروا على حقّ الجسم بدعوى الرقى بالروح.

ولكنّ الإسلام حافظ على الجسم، ونهى عن إرهاقه بأى وسيلة من الوسائل ولو كان بالعبادة. وحينما بالغ بعض الصحابة فى عبادة الله وصام النهار وقام الليل باستمرار، جاء به النبى ﷺ ووقفه عند حدّ الاعتدال، وقال لعبد الله بن عمرو: «فلا تفعل، صمّ وأفطر، وقم ونمّ، فإنّ لجسدك عليك حقّا [أى فى الراحة]، وإنّ لعينك عليك حقّا [أى فى النوم]، وإنّ لزورك عليك حقّا [أى فى الامتناع والمؤانسة]، وإنّ لزورك [زوّارك من المجتمع] عليك حقّا [أى فى الإكرام والمشاركة]، وإنّ بحسبك أن تصوم كلّ شهر ثلاثة أيّام فإنّ لك بكلّ حسنة عشر أمثالها...» (٢).

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم عن أسامة بن شريك، كما فى صحيح الجامع الصغير (٧٩٣٤) وغاية المرام (٢٩٢) للالبانى (القرضاوى).

(٢) رواه البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، ينظر (فتح البارى) كتاب الصوم، باب حقّ الجسم فى الصوم (٢٥٦/٤) ط. دار الريان بالقاهرة. وهو فى مسلم أيضا.

«فإن لجسدك عليك حقاً» كلمة جديدة في ظلّ الدين، لم يسمع الناس مثلها من قبل، فلا يجوز أن يرهق البدن، ولا يجوز أن يُجار عليه لأى سبب .

ولهذا شرع الإسلام الرخص والتخفيفات، إذا كان الصوم يضرّك فأفطر، المرض سبب للرخصة، والسفر سبب للرخصة ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويكره الصوم بل ربّما يحرم إذا كان السفر شاقاً، وحينما رأى النبي ﷺ رجلاً قد ظلّ عليه والناس يرشّون عليه الماء وسأل عنه قالوا: يا رسول الله صائم، قال: «ليس من البرّ الصيام في السفر»^(١) أى فى مثل هذا السفر الشاق . ورأى - أيضاً - رجلاً يُهادى بين ولديه، يعتمد عليهما لا يقدر على المشى وحده، فسأل عنه، قالوا: نذر أن يحجّ ماشياً، فقال: «إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى»^(٢) وأمره أن يركب .

هكذا حافظ الإسلام على الجسد الإنساني، لأنّه مطيّة الإنسان لأداء واجباته الدنيّة والدينيّة، فله حق: «فإنّ لجسدك عليك حقاً»^(٣)، عليك حق لهذا البدن: أن تطعمه إذا جاع وترويه إذا عطش وتريحه إذا تعب وتنظّفه إذا اتسخ وتداويه إذا مرض .

هذا أوّل مبدأ أقرّه النبي ﷺ في الجانب الصحى والطبى .

من ناحية أخرى فإنّ النبي عليه الصلاة والسلام أقرّ سنّة الله فى العدوى، العدوى سنّة من سنن الله، ولذلك قال: «فرّ من المجدوم فرارك من الأسد»^(٤)،

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائي عن جابر رضى الله عنه، ورواه ابن ماجة عن ابن عمر رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٣٨١/٥ برقم ٧٦٦٧).

(٢) متفق عليه عن أنس (اللؤلؤ والمرجان) رقم (١٠٦٤) القرضاوى.

(٣) قطعة من حديث عبد الله بن عمرو الذى رواه البخارى فى كتاب الصوم من صحيحه، وقد مرّ قبل قليل .

(٤) رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وجاء رجل مجذوم فى بعض الوفود يريد أن يبائع النبى ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: «قد بايعناك»^(١)، ولم يضع يده فى يده، ليقرّ هذه السنة.

بل أكثر من ذلك أنه أقرّ هذه السنّة بين الحيوانات وقال: «لا يورد ممرض على مصح»^(٢) الممرض: صاحب الإبل المراض بمرض الجرب، والمصح: صاحب الإبل الصحاح، والإبل حينما تلتقى عند موارد المياه تتزاحم، ويحتك بعضها ببعض، فيعدى بعضها بعضاً، وفى هذا إيذاء لهذا الحيوان من ناحية، ومن ناحية أخرى خسارة مادية، لأنه مال للإنسان.

ولهذا قال: «لا يوردن ممرض على مصح» صاحب الإبل المراض ينتظر حتى يسقى المصح إبله، ثم يورد إبله المريضة دون أن تختلط بالإبل الأخرى. هذا ما جاء به الإسلام.

جاء النبى ﷺ بقوله: «من تطبّب ولم يُعلم منه طبّ فهو ضامن»^(٣)، أى أنّه لم يفتح الباب لكلّ من يدعى أنّه طبيب، إذا لم يُعرف عنه الطبّ وأتّه مختص فى هذا الأمر، فهو ضامن إذا أصاب إنساناً بشيء. فوقف ضد الدجالين، وضد المدعين فى هذه القضية.

كذلك قاوم الإسلام الطبّ الذى يسمّيه بعضهم: (الطبّ الروحانى) القائم على التمايم والكهانة والرقي ورفض هذه الأشياء، واعتبرها من الجاهليّة ومن

(١) رواه مسلم فى (السلام) برقم (٢٢٣١). القرضاوى.

(٢) متفق على صحته، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرنؤوط: ١٢/١٦٨ برقم ٣٢٤٨).

(٣) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجّة والحاكم عن ابن عمرو بن العاص، قال الحاكم: صحيح، وأقرّه الذهبى، ورواه الدارقطنى من طريقين. ومعناه: أنّ من تعاطى الطبّ، ولم يسبق له تجربة فهو ضامن لمن طبّه بالديّة إن مات بسببه لتهوره بإقدامه على ما يقتل (فيض القدير للمناوى: ١٠٦/٦ برقم ٨٥٩٦).

ضروب الشرك: «إن الرقى والتمايم والتولة شرك»^(١) «من علق تميمة فقد أشرك»^(٢) «من تعلق شيئاً وكل إليه»^(٣).

لا ينبغي أن يعلق الإنسان هذه الأشياء: الخرزات والأحجبة وهذه الأشياء التي يعلقها الناس، إلا إذا كانت من آيات القرآن فأجازها بعض العلماء.

إنما تشرع الرقى - والرقى دعاء ورجاء إلى الله - ترقى المريض وتقول له ثلاث مرّات: «اللهم ربّ الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك...»^(٤) أو يقول «أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك» سبع مرات^(٥). فهذا لا بأس به، لأنّه دعاء إلى الله.

والمسلم يجمع بين الدواء المادى والدواء الروحى، فهو يدعو الله تبارك وتعالى، ولكنه يحترم الأسباب والنسببات.

ثمّ وضعه النبى ﷺ من المبادئ المهمة أنّه حلّ مشكلة (الإيمان بالقدر)، فقد كان فى أذهان الناس وفى أوهامهم أنّ التداوى ضدّ التوكّل^(٦) وضدّ الإيمان بالقدر والرضى بالقدر، فإذا أصاب الإنسان مرض فعليه أن يستسلم له ويرضى بالقضاء، ويصبر على البلاء، ولا يستعمل الدواء!.

(١) رواه احمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبى (فيض القدير للمناوى: ٢/٣٤٢ برقم ٢٠٠٢).
(٢) رواه أحمد والحاكم وأبو يعلى بإسناد جيد، قال الهيتمى: رجال أحمد ثقات، من حديث عقبه بن عامر رضى الله عنه (فيض القدير: ٦/١٨٠ برقم ٨٨٥٧).
(٣) رواه أحمد والترمذى والحاكم، عن عبد الله بن حكيم، ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بعلامة الحسن (فيض القدير للمناوى: ٦/١٠٧ برقم ٨٥٩٩).
(٤) رواه البخارى فى باب دعاء العائد للمريض عن عائشة - حديث (٥٦٧٥) البخارى مع الفتح (القرضاوى).

(٥) رواه عن ابن عباس أبو داود فى الجنائز (٣١٠٦) والترمذى فى الطب (٢٥٨٤) وقال: حسن غريب، والحاكم وصححه على شرط البخارى ووافقه الذهبى (٣١٢/١). (القرضاوى).

(٦) من أراد التوسّع فى هذا فليراجع الكلام الممتع المفيد الذى كتبه الشيخ القرضاوى حفظه الله فى الفصل الخامس من كتابه (التوكّل) من ٧٥ - ٩٤.

ولذلك عندما سئل النبي ﷺ: يا رسول الله، أرأيت رُقىَ نسترقِها، ودواءً نتداوى به، وتُقاةً نتقيها: هل تردّ من قدر الله شيئاً؟ قال: «هي من قدر الله»^(١).

الأدوية التي تتداوون بها والأسباب التي تتقون بها الأمراض هي من قدر الله، فكما أن الله قدّر المرض قدّر الدواء، هذا من قدره وهذا من قدره.

والمسلم الفقيه هو الذى يدفع قدر الله بقدر الله، يدفع قدر الجوع بقدر الغذاء، ويدفع قدر العطش بقدر الشرب من الماء، ويدفع قدر الداء بقدر تناول الدواء.

وعندما ذهب سيدنا عمر في خلافته إلى الشام، قيل له - قبل أن يدخل الشام - : يا أمير المؤمنين، إن هناك طاعوناً انتشر في بلاد الشام. هنا وقف عمر يفكر ماذا يصنع؟ أيخاطر بأصحابه أصحاب النبي ﷺ و يدخل هذه البلاد الموبوءة ويعرضهم للخطر؟ أم يرجع؟ واستشار الناس فاختلّفوا عليه.

ولكنه بنور بصيرته وفقهه الراشد وفهمه السديد للإسلام صمّم على أن يرجع، فقال له أبو عبيدة بن الجراح - أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة - يا أمير المؤمنين أتفرّ من قدر الله؟ قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، ما كنت انتظر من مثلك أن يقول هذه الكلمة، نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان معك إبل ونزلت واديين أحدهما مخصب والآخر مجذب، أليس إن رعيت المجذب رعيتَه بقدر الله وإن رعيت المخصب رعيتَه بقدر الله؟! فأنت تترك المجذب وترعى المخصب (أى تغلب قدرأ على قدر).

وهذا من فقه عمر رضى الله عنه.

ثمّ جاء عبد الرحمن بن عوف - وكان غائباً - فقال له: إنّ عندى علماً من رسول الله ﷺ فى هذا الأمر، وقصّ عليه الحديث: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض

(١) رواه الترمذى عن أبى خزيمة عن أبىه وقال: هذا حديث حسن صحيح ينظر (عارضه الأحوذى بشرح صحيح الترمذى) كتاب الطب (٨/٢٢٤) ط. دار الكتب العلمية بيروت.

فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه»^(١)، فعرف عمر أنه وُقِّ لإصابة الحق، وقد كان موقفاً، وكثيراً ما نزل القرآن بموافقته.

حلّ الرسول مشكلة الإيمان بالقدر حينما قال عن الأدوية: هي من قدر الله. وشرع النبي ﷺ الرخص والتخفيفات، وحرّم كل ما يؤذي البدن كالمسكرات والمخدرات، حتى الإسراف في الطعام أو في الشراب ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكيات يُقمن صُلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٢).

كلّ هذا حماية لبدن الإنسان أن يصاب وهو عدّة الإنسان ومطيئة في رعاية الحقوق وأداء الواجبات.

هذا ما جاء به النبي ﷺ، جاء بكل ما يحفظ البدن. كما جاء بكل ما يحفظ العقل والروح.

واشتكى إليه بعض أصحابه ممن كانوا مع عمرو بن العاص في إحدى الغزوات وقالوا: يا رسول الله، صلّى بنا وهو جنب! فسأل النبي عمراً، فقال: يا رسول الله كانت الليلة باردة شديدة البرودة، وتذكّرت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فتبسم النبي ﷺ^(٣).
معنى هذا أنه أقرّ فعل عمرو:

(١) تقدم تخريجه في صفحة ٤٩.

(٢) رواه الترمذى وحسنه، وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، عن المقدم بن معد يكرب رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ٦٠٢/٢ برقم ١٢٥١).

(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة ولفظه عن عمرو بن العاص قال: احتلمتُ في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيّمت ثم صلّيت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «يا عمرو صلّيت بأصحابك وأنت جنب؟! فأخبرته بالذى معنى من الاغتسال وقلت: إنى سمعت الله يقول: «ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً» فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً. وإسناده قوى، وعلقه البخارى في صحيحه وقوّاه الحافظ، وصحّحه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه المنذرى (شرح السنة للبخارى بتحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش: ١٢١/٢ - ١٢٢).

على حين أنكروا على جماعة آخرين أفتوا رجلاً من الصحابة أصابته جراحة أن يغتسل رغم جراحته! فاغتسل فتفاقم عليه الجرح، وتضاعفت عليه الآثار حتى مات بسبب هذا الغسل وهو جريح. فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، وإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يعصب على جرحه ويتيمم»^(١).

اعتبرهم قتلة، ودعا عليهم؛ لأنهم أفتوا بجرأة في أمر لا يعلمونه، كان يجب أن يسألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال.

إن الإسلام قد جاء بهذه المبادئ لإرساء دعائم طب علمي موضوعي قائم على أساس صحيح، وجاء كذلك بالطب الوقائي الذي يقوم على أسباب الوقاية من الأمراض.

فلو أن المسلمين اتبعوا تعاليم دينهم، واتبعوا أحكام ربهم في رعاية هذا الجسم الذي هو هبة من الله تعالى لنا، ونعمة منه علينا، ووديعة منه لدينا، لكانوا أصح الأمم وأقواها أجساماً.

ينبغي للمسلمين أن يحفظوا هذه الأجسام. بحفظهم لتعاليم وحى السماء، التي فيها وحدها الشفاء من كل داء، لقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام فقال: «إن الله تعالى لم يُنزل داء إلا أنزل له دواءً، علمه من علمه، وجهله من جهله..»^(٢) وقال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء، برىء بإذن الله تعالى»^(٣).

(١) رواه أبو داود عن جابر، وابن ماجه، والحاكم عن ابن عباس ورجاله ثقات وسنده قوى. انظر (شرح السنة للبخاري بتحقيق الأرناؤوط والشاويش: ٢/١٢٠ برقم ٣١٣).

(٢) رواه الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورمز له السيوطي بالصحة، قال المناوي: ونحوه للنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان. وتتمته: «إلا السام وهو الموت» ينظر (فيض القدير: ٢/٢٥٦ برقم ١٧٨٣).

(٣) رواه أحمد ومسلم عن جابر رضي الله عنه (فيض القدير للمناوي: ٥/٢٨٣ برقم

٧٣٠٦).

وبهذا فتح أبواب الأمل أمام الأطباء، وأمام المرضى، ليفتتسوا عن أدوية الأمراض، التي يعتقد النَّاسُ أنَّها مستعصية، وأنَّها معضلة، وأنَّه لا علاج لها.

هناك علاج، وهناك دواء، ولكن لم يهتد إليه الإنسان، ولا بدَّ أن يسعى للبحث عن هذا الدواء، وهو واصل إليه إذا وفقه الله الذي ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [العلق: ٥].

فتح الإسلام أمام الأطباء وأمام المرضى باب الأمل وباب الرجاء واسعاً، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

كذلك ربط الإسلام بين صحة الجسم وصحة النفس، ولا يصحَّح النفس ويضمن لها السلامة مثل الإيمان بالله وبالدار الآخرة ويقدر الله عزَّ وجلَّ، ومثل التزام أحكام الشرع، فهذه وحدها هي التي تعطي الإنسان العافية النفسيَّة، مع العافية البدنيَّة.

وخير ما يعطاه الإنسان هي هذه العافية: صحَّة البدن وصحَّة النفس، وهي أجلُّ النعم على الإطلاق كما يقول ابن القيم رحمہ الله، وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخارى رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنه: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحَّة، والفراغ»^(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذى: «من أصبح منكم آمناً فى سِرِّه، معافى فى جسده، عنده قوتُ يومه، فكأنَّما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(٢)، من أعطى الأمن والعافية فى نفسه وفى جماعته، والقوت اليومي المنتظم ولو بالقليل، فكأنَّما حيزت له الدنيا بحذافيرها.

(١) رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه، عن ابن عباس رضى الله عنهما (فيض القدير: ٦/٢٨٨ برقم ٩٢٨٠).

(٢) رواه البخارى فى الادب والترمذى وابن ماجه، عن عبد الله بن محصن (فيض القدير للمناوى: ٦/٦٨ برقم ٨٤٥٥) ومعنى (سربه): أى فى نفسه.

وقال النبي ﷺ: « سلوا الله العفو والعافية، فإنَّ أحداً لم يُعط بعد اليقين خيراً من العافية »^(١).

ولذلك شرع الإسلام أن نقول في القنوت: « وعافني فيمن عافيت »^(٢)، وأن نقول بين السجدين: « اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدني، وارزقني »^(٣)، وأن نقول في الأدعية الماثورة: « اللهم إني أسألك العفو العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني، ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، و من فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي »^(٤).

أدعو الله تعالى يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد والترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ورواه النسائي من طرق أحد أسانيدھا صحيح، وقد رمز السيوطي لحسنه (فيض القدير: ٤/ ١٠٧ برقم ٤٧٠٠).

(٢) جزء من دعاء القنوت الذي أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي والحاكم وصححه (شرح السنة للبخاري بتحقيق الأرنؤوط والشاويش: ١٢٨/٣ برقم ٦٤٠).

(٣) رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه، وصححه الحاكم وأقره الذهبي (شرح السنة للبخاري بتحقيق الأرنؤوط والشاويش: ٣/ ١٦٣ برقم ٦٦٧).

(٤) رواه أبو داود واللفظ له، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢٢٨/١ برقم ٣٤٣).

(٥) مشاهداتي في الهند

الخطبة الأولى :

أما بعد فيها أيها الإخوة المسلمون :

كنت في زيارة للهند^(١) .. زيارة جامعاتها ومؤسساتها العلمية والدينية، وبقيت أسبوعين في تلك البلاد الواسعة الشاسعة، ومن حقكم أن تعرفوا شيئاً عن الهند أو عن مسلمي الهند، فلا يجوز للمسلم أن يجهل حال أخيه المسلم .

المسلمون أمة وإحداً، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، فهل يصح للأخ أن يجهل أحوال أخيه؟ مايجوز هذا. والحديث الشريف يقول: « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسى ناصحاً لله، ولرسوله، ولكتابه، ولإمامه، ولعامّة المسلمين، فليس منهم »^(٢) .

فينبغي أن نهتمّ بأمر إخواننا المسلمين في أنحاء الأرض، ومن هؤلاء المسلمين: أخوتنا في الهند .

والهند تربطها ببلاد الخليج روابط قديمة وحديثة، وروابط تاريخية، فيجب أن نتعرفوا على أحوال إخوانكم هناك .

الهند قارة أو شبه قارة واسعة، يبلغ تعدادها حالياً ما يقارب الألف مليون! وهم يتزايدون ويتناسلون . والمسلمون يقدرّون فيهم بما لا يقلّ عن مائة وخمسين

(١) كان ذلك في شهر جمادى الثانية ١٤١٧ هـ - أكتوبر ١٩٩٦ م .

(٢) رواة الطبراني عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه، من رواية عبد الله بن أبي جعفر الرازي وهو مختلف فيه، ضعّفه بعضهم ووثقه آخرون . وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٥١٤ / ٢ برقم ٩٩٧) .

رواه البيهقي عن أنس رفعه بلفظ « من أصبح لا يهتم للمسلمين فليس منهم، ومن أصبح وهمّه غير الله فليس من الله » (كشف الخفاء للعجلوني : ٢ / ٢٧٩ برقم ٢٦١٧) .

وذكر الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء حديث: « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم » ثم قال: أخرجه الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (٢ / ٢٠٨) .

مليوناً، وبعضهم يقول: إن المسلمين لا يقلّون عن مائتى مليون، فإنّ الاحصاءات الرسمية تحاول ان تقلّل أعداد المسلمين حتى لا يطالبوا بحقوق أكثر. ومعنى هذا أنّ المسلمين فى الهند يكادون يقاربون أعداد المسلمين فى العالم العربى كلّهُ.

المسلمون فى الهند يمثلون التجمّع الثانى للمسلمين فى العالم. أكبر تجمّع للمسلمين فى العالم: فى جمهورية اندونيسيا التى تبلغ الآن المائتى مليون، والمسلمون يشكّلون أكثر من تسعين فى المائة (٩٠٪) من عدد سكّانها. والتجمّع الثانى للمسلمين: فى الهند، قبل باكستان وقبل بنغلادش.

ليس المسلمون إذن بالعدد الهينّ أو القليل. صحيح أنّهم أقلّية بالنسبة للكثرة الهندوسية، ولكنهم أقلّية ذات وزن، وذات شأن، ولها أهميّتها، ولها تاريخ، ولا دورها فى حياة الهند.

المسلمون لهم مساجدهم وجوامعهم، لهم مدارسهم وجامعاتهم، لهم ثقافتهم ولغتهم، لهم حياتهم الخاصّة المتميّزة فى ذلك المجتمع الذى له سمات خاصّة، لا توجد فى غيره من المجتمعات..

المجتمع الهندوسى العام مجتمع وثنى تكثر فيه الأصنام والآلهة، يكاد الناس يعبدون كلّ شىء!! هناك من يعبدون الأنهار، هناك من أنهار مقدّسة فى الهند تُعبد! هناك من يعبدون القردة! هناك من يعبدون الفرج! هناك من يعبدون الشيطان! هناك بعض الجبال تُعبد! هناك من يعبدون البقرة ويقدسونها، وهى إذا سارت فى الشارع لا يستطيع أحد أن يمسه، بل قال بعض الإخوة المسلمين: رأيت من يأخذ بولها وروثها ويتمسّح به!!

هذه البقرة الأنثى، أمّ الثور فإنّه يجر الأثقال ويُضرب بالسياط. الأنثى هى المعبودة، أمّ الثور الذكر فليس له قيمة، وكذلك بنت عمّها (الجاموسة)، وهى أغلى منها ثمناً وأكثر منها نفعاً وأدسم منها لبناً. هذه الجاموسة لا تُعبد، بل تسقى الأرض، وتجّر المحراث، وتجّر العربات، وتعمل ما تعمل. فهم يعبدون البقرة وحدها.

هذا مجتمع وثنى معروف.

ومن العجائب حينما كنت هناك وجدت أمام الفندق الذى أسكن فيه تمثالاً من الورق مُعدّاً، قلت لهم: ما هذا؟ قالوا: فى يوم الاثنين سترى، هذا الإله

(رأون)، والإله (راون) تقول عنه الأساطير الهندوسية : أنه اغتصب زوجة الإله (راما)!! وهذه المنطقة - فى شمال الهند.. فى لكنو - وماحولها تقدس الإله (راما)، ولذلك كل سنة يقيمون تمثالاً للإله الذى اغتصب زوجة إلههم ويحرقونه! وفعلا رأيت بعد أيام مئات الآلاف من الناس يتجمعون وهم يشاهدون إحراق هذا الإله المقتصب! لأنه إله شرير.

والعجيب أنه فى جنوب الهند يحدث العكس. فى جنوب الهند يحرقون (راما) إله الشمال، هم يعبدون الإله المقتصب، لأنه الأقوى ويحرقون خصمه الأضعف (راما)، وهؤلاء وهؤلاء هندوس! هذا من سمات هذا المجتمع الوثنى.

من سمات هذا المجتمع التناقضات الهائلة، ففيه كبار الأغنياء (المهراجات) الذين يملكون المليارات، ويسكنون القصور المشيدة، ويعيشون بالملايين عبثاً، وهناك أناس آخرون لا يجدون القوت، يبحثون فى أكياس القمامة وفى صناديق الزبالة عسى أن يجدوا فيها شيئاً يؤكل من فضلات الناس!

هناك من يسكنون القصور الفاخرة، وآخرون يولدون ويعيشون ويموتون فى الشوارع! رأيت هؤلاء فى مدينة (بومباى) وفى (دهلى) القديمة.

وفى مدينة (لكنو) أمام (ندوة العلماء) و(دار علومها) على حافة نهر (كنتن)، وجدت الناس بنوا لأنفسهم عششاً عشوائية وظللوها ببعض الأقمشة، ويعيشون فيها ويبيتون فيها، وهذه هى كل حياتهم.

هذه الهند بلاد التناقضات : فيها الفلاسفة والذكاترة، وفيها الأميون.. مئات الملايين من الأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون.

ثم هى بلاد الطبقات، التى يولد كل إنسان عليها، كل إنسان يولد فى طبقة هى قدره الأبدى، ولا يستطيع أن يرتقى منها.

هناك أربع طبقات :

هناك الذين خلُقوا من فم الإله!

والذين خلُقوا من ذراعى الإله!

والذين خُلِقوا من فخذى الإله!

والذين خُلِقوا من تحت أقدام الإله! وهؤلاء هم الطبقة المنحطة الذين يسمّونهم (المنبوذين) الأنجاس. كان الهنود قديماً لا يمسّونهم ولا يقربون منهم، لأنهم نجس ورجس، إلى أن قام بعض مصلحيهم وخففوا من هذا، وخصوصاً بعد اتصال الهند بالعالم، واتصال العالم بها.

ولازال المتدينون منهم ينكرون التعامل مع هذه الطبقة، وهي تمثل معظم الهند، أغلبية الهند الساحقة من هذه الطبقة المنبوذة المنحطة التي ينظرون إلى أصحابها كأنهم أخط من البهائم وأذلّ من الكلاب، بل هم يعبدون البهائم ويعبدون الحيات وخاصة حية (الكوبرا) المعروفة، وهؤلاء لم يقاربوا أن يكونوا بهائم أو يكونوا بقرأ أو يكونوا حيات!

فهذا مجتمع الطبقات، من ولد في طبقة لا يستطيع أن يرتقى منها. يمكن أن يتعلّم ويحصل على أعلى الدرجات.. على الماجستير وعلى الدكتوراة وعلى الأستاذية، وربما كان نابغة من نوابغ العلم، ويعترف له العالم ويعطيه أعلى الدرجات، يمكن أن يأخذ جائزة (نوبل) في العلوم، ومع هذا يظلّ في طبقتة، الطبقات قدرية لا حيلة للإنسان فيها!

هذه هي الهند.

ولذلك حينما دخل الإسلام الهند كان شيئاً جديداً وغريباً على هذا المجتمع.

دخل الإسلام الهند من وقت مبكّر.. في القرن الأوّل الهجرى، دخلها عن طريق الفتح، وعن طريق العلماء والدعاة والتجار.

أوّل من فتح الهند هو: ذلك الشاب المسلم محمد بن القاسم بن محمد الثقفى، ابن عمّ الحجّاج الثقفى، وهو الذى أرسله إلى تلك البلاد، وهو شاب فى ريعان شبابه ومقتبل عمره. كان فى السابعة عشرة من عمره، وظلّ يلحّ على

الحجاج ليعبثه قائداً للجيش الإسلامي، ليذهب إلى هذه البلاد، وأنا رأيت محطة قطار بالقرب من كراتشي اسمها (محطة محمد بن القاسم).

محمد بن القاسم هذا الشاب الطموح الذي قال فيه الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندي محمد بن القاسم بن محمد!

قاد الجيوش لسبع عشرة حجةً يا قرب ذلك سؤدداً من مولد!

ليعرف ذلك شبابنا الذين يعيشون في هذه السن وليس لهم مثلٌ عليا، ولا آمال كبيرة يتعلّقون بها ويعيشون لها.

هكذا كان الشباب الإسلامي: أسامة بن زيد قاد الجيش وهو ابن الثامنة عشرة، وهذا قاد الجيش ودخل به في بلاد لم يعرفها من قبل، وهو ابن السابعة عشرة!

دخل الإسلام مبكراً في هذه البلاد، وكانت الهند تابعة للدولة الأموية أولاً، ثم للدولة العباسية بعد ذلك، ثم للدولة العثمانية. ثم حكمها ملوك كبار من المغول، حكموا الهند نحو عدة قرون وتركوا فيها آثاراً واضحة وبصمات بيّنة، تدلّ على رقيّ المسلمين وحضارتهم. وخصائص رسالتهم. ما كان الهنود يعرفون هذه الحضارة ولا هذه الفنون الراقية ولا هذه التحف المعمارية.

كلّ ما تفخر به الهند الآن من آثار سياحية يتفرّج عليها ويطلع عليها السياح من أنحاء العالم هو من آثار المسلمين: القلعة الحمراء في دلهي، منارة قطب الدين، تاج محل إحدى عجائب الدنيا السبع وهو تحفة معمارية فنيّة لا نظير لها في العالم، الجوامع الكبرى، الحدائق التي لا نظير لها... الخ. أشياء كثيرة جداً في الهند وبعضها الآن في باكستان وفي بنجلاديش، هي من صنع المسلمين، فالإسلام ترك آثاره هناك.

حكم الهند ملوك عظام أقاموا العدل، ونشروا الخير بين الناس، وفتحوا الممالك، وأقاموا دولة العدل والإحسان، وظلّوا أكثر من ثمانية قرون.

وكان هناك تفاوت بين الملوك بعضهم وبعض، بعضهم أحياناً انحرف مثل الملك المشهور (جلال الدين أكبر)، الذى اقترب من الوثنية وقرب الوثنيين وثار على دينه، وكاد ينسلخ من الإسلام أو قل: إنه انسلخ بشخصه من الإسلام، وكاد يسليخ الدولة الإسلامية فى الهند من الإسلام.

ولكن قيّض الله للمسلمين من اهتموا بأبنائه، علموا أنّ هذا الرجل سيذهب ويموت، فليضعوا همّتهم فى أولاده، وهكذا كان همّ ذلك العالم المجدّد الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى، الذى وجّه جهوده لتربية أبناء هذا الملك المنحرف، وفعلاً أثر فى أولاده، وظهر هذا الأثر بعد وفاة هذا الملك، وظهر فى أحفاده أكثر من ذلك، خصوصاً فى ذلك الملك العادل الذى عرف فى التاريخ باسم (عالمكير^(١) أورانك زيب^(٢))، وهو رجل كان ملكاً قوياً عادلاً شجاعاً مؤمناً صالحاً، تمسك بالإسلام فى نفسه وفيما حوله، ونشر الدعوة الإسلامية، وحكم الهند خمسين عاماً كاملة.

كان يقوم الليل، ويحافظ على الفرائض والنوافل، ويقرأ القرآن، ويكتب القرآن بخطه الجميل. كان يتعيّش من هذا الأمر، يأكل رزقه من كتابة المصاحف بخطه، كان آية فى حسن الخطّ.

قال عنه العلامة الشيخ على الطنطاوى: هو سادس الراشدين بعد عمر بن عبد العزيز^(٣). الكثيرون منا لا يعلمون أنّه هو الذى جمع (الفتاوى الهندية العالمكيرية) فى المذهب الحنفى، وهى فتاوى مشهورة، تعد من المراجع المهمة فى الفقه الحنفى.

(١) أى زمام العالم أو قائد العالم.

(٢) أى زينة الملوك.

(٣) انظر ماكتبه الشيخ على الطنطاوى رحمه الله عن هذا الملك العظيم فى كتابه (رجال من التاريخ) ص ٢١٠ - ٢٢٠ تحت عنوان (بقية الخلفاء الراشدين).

فهذا الرجل كان من ثمرات التربية الربانية الصالحة التي قام بها العلماء
الدعاة المجددون المرتبون .

المهم أن المسلمين ظلوا حكاماً للهند إلى أن جاء الإنجليز بمكرهم وكيدهم،
ودخلوا إلى الهند باسم (شركة الهند الشرقية)، ولا زالوا يعملون عملهم حتى
أقصوا المسلمين عن الحكم . ولم يكتفوا بذلك بل مكّنوا لغير المسلمين، وحرّموا
المسلمين من حقوقهم .

وظل الأمر كذلك، ظل هناك صراع بين المسلمسن وغير المسلمين حتى
انتهى إلى ذلك التقسيم المعروف، انقسمت الهند وخرجت إلى دولتين:
هندوستان، وباكستان (التي هي الآن باكستان وبنغلادش، كانت باكستان
الغربية وباكستان الشرقية) .

وبقى عدد كبير من المسلمين هو الذي نتحدث عنه الآن . هؤلاء لم
يستطيعوا أن يهاجروا، ما كان يمكن أن يهاجر كل المسلمين إلى باكستان، هذا
وجود إسلامي راسخ الجذور، عميق الأثر، لا يمكن أن يترك هؤلاء مساجدهم
وبيوتهم ، ومدارسهم ومزارعهم وأرضهم وتاريخهم، ولذلك بقوا في أماكنهم .
هناك بلاد في الهند إلى الآن فيها مساجد خاوية لا يدخلها أحد، فقد
هاجر أهلها أو هجروا . والهندوس يريدون أن يحطّموها، ولكن المسلمين يقفون
ضد ذلك .

يعيش المسلمون في الهند وسط أغلبية من الهندوس، وهذه الأغلبية تغلب
عليها تيارات متعصبة وأحزاب متعصبة .

هناك أناس علمانيون، لا يهتمهم أمر الدين، ولا يتعصبون له، ولا ضده .
فكل انسان وما اختار لنفسه . وقد قام على هذا الأساس الدستور الهندي، فقد
قالوا: إنّه دستور علماني لا يتميّز لطائفة من الطوائف ضد طائفة أخرى . وقام
على أساس ذلك (حزب المؤتمر) الشهير، الذي كان للمسلمين فيه دور كبير،
والذي رأسه (جواهر نهر) وابنته (أنديرا غاندي) وأولادها بعد ذلك .

وكان المسلمون لهم مكان بيّن في هذا الحزب، لأنّ للمسلمين مكاناً مرموقاً في مقاومة الإنجليز وفي معركة التحرير. كان المسلمون أعلى صوتاً في معركة التحرير من غير المسلمين، هم الذين قادوا هذه المعارك، وعلمائهم كان لهم دورهم:

الشيخ (محمود حسن) شيخ الهند، والشيخ (الكنكوهجي)، ومولانا (أبو الكلام آزاد) الذي حكم عليه الإنجليز بالإعدام ووقف أمام المحكمة يترافع ومرافعته تحفة من تحف الأدب السياسى فى التاريخ.

كان المسلمون لهم دورهم فى معركة التحرير.

ولكن تغلب على الهند اليوم تيارات متعصّبة كما قلت، وأحزاب هندوسية تقول للمسلمين: من أراد منكم أن يعيش بالإسلام فليذهب إلى باكستان، ارحلوا إلى باكستان، هذه ليست بلادكم، بلادكم باكستان. وهذا فى غاية الخطأ. فالهند وطنهم، وهم أبناؤها وهم أصلاء فيها.

بعض هذه الأحزاب المتعصّبة يحصل على مقاعد كبيرة فى البرلمان، وهم كانوا يطمعون أن يحصلوا على أغلبية مطلقة ولكنهم حصلوا على أغلبية نسبية حوالى أربعين فى المائة (٤٠٪)، وهذا ليس بالأمر الهين أيضاً، ولذلك نجد إخواننا المسلمين يحسّون بالخطر إزاء هذا التعصب المخوف.

هناك مشكلات عدّة يواجهونها: -

١ - مشكلة الدعوة الإسلامية:

المسلمون عاشوا دعاة فى الهند، نشروا الإسلام فى هذا المجتمع بالدعوة، الإسلام لم ينتشر بالسيف، الجيش الإسلامى دخل أماكن محدّدة وقليلة جداً، لكن سائر الناس دخلوا عن طريق الدعوة الإسلامية. الآن نرى المسلمين لا يستطيعون أن يدعوا بصراحة إلى الإسلام.

منذ عدّة سنوات أسلمت قرية بكاملها، وهذه هيّجت الشعور الهندوسى العام، وقامت الدنيا ولم تقعد، وذهبوا إلى أهل هذه القرية ومازالوا بهم حتى ردّوهم إلى وثنيّتهم.

المسلمون في الهند ليس لهم حرية الدعوة كما ينبغي، ولذلك كانت نصيحتي لهم أن يدعوا بالحكمة والهدوء دون إثارة ضجة، لأنهم حينما أسلم أهل هذه القرية نشروا في الصحف، وعملوا الإعلانات، وهذا لا ينبغي في مثل هذا البلد.

٢ - مشكلة الأحوال الشخصية:

هناك مشكلة أخرى، وهي تتعلق بالقانون، وخصوصاً قانون الأحوال الشخصية. قانون الأحوال الشخصية حسب الدستور يحافظ على الشخصية الدينية للمسلمين، فللمسلمين قوانينهم في الزواج والطلاق والإرث والنفقات وغيرها، ولا ينبغي أن يفرض عليهم ما يخالف دينهم.

ولكن ما بين الحين والحين تشور بعض القضايا، يريدون أن يفرضوا على المسلمين ما ليس من دينهم، وآخرها منذ عدة سنوات حينما حكمت المحكمة لامرأة مطلقة بأن تفرض لها نفقة من مطلقها طوال حياتها أو تتزوج، إذا لم تتزوج تظل تأخذ نفقة من المطلق طوال الحياة.

وللأسف أن بعض المسلمين أعطى هؤلاء القضاة مبرراً من قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ولكن أين هذا المتاع - وهو المتعة التي تُعطى للمرأة: مبلغ معين بمثابة تعويض لها، حتى يريح صدرها وضميرها - من نفقة طول الحياة، وقد أصبحت امرأة أجنبية بالطلاق؟!!

هذا لأن المرأة عندهم متصلة بزوجها، بمجرد أن تتزوج المرأة الهندوسية تصبح جزءاً من كيان الزوج، تنفصل عن أبيها وأمها، وتصبح لحمة في زوجها. وكان المتبع من قبل أن المرأة تكون تبعاً لزوجها في الحياة وفي المات، فحينما يموت الزوج يجب على المرأة أن تحرق نفسها لتلحق بزوجها!! هذا كان المتبع، ولازال بعضهن يفعل ذلك إلى اليوم. فهم عندهم هذا الأمر.

لكن الإسلام يقول: المرأة هي زوجة الرجل، هي منه وهو منها إلى أن تُطلق. إذا طُلقت أصبحت امرأة أجنبية، من حقها أن ترتبط بغيره وأن تتزوج غيره، وأن تعود إلى أسرتها الأصلية.. إلى أبيها وأمها.

فلذلك أرادوا أن يفرضوا على المسلمين قانون النفقة الأبدية للمرأة المطلقة. وثار المسلمون جميعاً ووقفوا وقفة رجل واحد، وكان في هذا الاتحاد قوة للمسلمين، فلم يستطع القضاء الهندوسي أن يفرض ما كان يفرضه. وأنشأ المسلمون مجلساً للأحوال الشخصية لعموم الهند، وهو يرأسه الآن العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي.

٣ - مشكلة التعليم:

هناك أيضاً قضية تتعلق بالتعليم، المفروض أن الدستور العلماني يضمن لكل فئة أن تتعلم أولادها دينها بالطريقة التي تراها، وأن يكون التعليم محايداً لا يفرض عقيدة من العقائد على المتعلمين.

ولكن الذي حدث الآن أن التعليم أصبح يتضمن عقائد هندوسية، ويدرس الطالب في الهند كأنها بلد هندوسي وثني تماماً، وكأن المسلمين لا وجود لهم، ويدرس تاريخ الهند على أن لا وجود للإسلام في هذا البلد، وبدأ يغير التعليم العقلية التي تتعلم، وهذا ما يحجج عليه المسلمون.

٤ - مشكلة اللغة:

أيضاً هناك مشكلة اللغة، المسلمون لغتهم لغة (أوردو) وهي لغة خليط من الفارسية والهندية والعربية، وتكتب بالحرف العربي، وهناك نجد الحكومة تريد أن تقاوم هذه اللغة وأن تحذفها من التعليم ومن الحياة؛ لأنها لغة الإسلام والمسلمين لغة الثقافة الإسلامية، والعلوم الإسلامية.

٥ - مشكلة الأمن:

هناك مشكلة أخرى تتعلق بأمن المسلمين، المسلمون باعتبارهم أقلية يتعرضون في كثير من المحافظات والولايات إلى اضطهاد الأخرية، وتقوم بين الحين والحين اصطدامات دموية عنيفة.

ولا زلنا نذكر جامع (بابرى) الذى هُدم، وخطبت فى شأنه خطبة من فوق هذا المنبر^(١)، وكيف هدمه هؤلاء بزعم أنه كان تحت معبد لإله من آلهتهم! وهذه حُجّة يقولونها كلما أرادوا أن يهدموا أثراً من الآثار الإسلامية بزعم الأساطير التى عندهم، والتى ليس لها حقيقة تاريخية.

٦ - المشكلة الاقتصادية والسياسية:

وهناك المشكلة الاقتصادية والسياسية، فالمسلمون لا يأخذون حقهم بنسبتهم العددية فى وظائف الدولة، لا يأخذون حقهم فى الجيش ولا فى الشرطة ولا فى الوظائف الإدارية ولا فى غيرها. وهذا يؤثر على الوضع الاقتصادى للمسلمين، فكأنهم ليسوا مواطنين فى الدولة، بحيث ينتفعون بجيرانها، كغيرهم. قليل من المسلمين يمسون ببعض الوظائف الكبيرة، وهؤلاء من بقايا العهد الإنجليزى، وأما فى عهد الاستقلال فيكادون يطردون المسلمين من هذه الوظائف.

وكلّ هذا يشكّل خطراً على الجماعة الإسلامية فى الهند، ولا ينقذ المسلمين من هذا إلا أن يتوحدوا، وأنا قلت هذا حينما كنت هناك، وقلت لهم هذا من قبل.

وأنا زرت الهند خمس مرّات، وفى إحدى المرّات حضرت أكبر تجمع فى حياتى فى الاحتفال بمرور مائة وخمسة عشر عاماً على تأسيس جامعة (ديوبند) التى يسمونها (أزهر الهند)، وحضر هناك نحو مليونى شخص، أكبر تجمع رأيت فى حياتى، وتكلّمت كلمة وقلت لهم: أنتم أقلية، ولكنكم لستم بالعدد القليل، أنتم التجمع الإسلامى الثانى فى العالم، ولا يمكن أن تقوم لكم قائمة إلا إذا توحدتم، أنا أعرف أن الأقليات فى العالم كلّها تتضام وتتلاحم وتتوحد فيما بينها لتحافظ على هويتها وشخصيتها وحرماتها وحقوقها أمام الأكثرية، وإلا

(١) انظرها فى هذا الجزء من ص ٣٦ إلى ٤٦.

أُكَلِّتِ وَسُحِّقْتِ وَدَيْسَتْ بِالْأَقْدَامِ . كُلَّ الْأَقْلِيَّاتِ تَتَجَمَّعُ وَتَتَوَحَّدُ إِلَّا الْأَقْلِيَّاتِ
الإسلامية للأسف .

قلت : وأنتم مثَّلُ لهذا، أنتم عدد ضخم (مائة وخمسون مليوناً أو يزيدون) لماذا لا تتحدون؟ لماذا لا تقفون صفّاً واحداً كالبنين المرصوص؟ كُنْ ما شئت من خريج أى جامعة من ديوبند، أو من مدرسة مظاهر العلوم، أو من الإصلاح، أو الفلاح، أو ندوة العلماء . . كُنْ من أهل الحديث، أو من الجماعة الإسلامية، أو من جماعة التبليغ أو من أى جماعة شئت، ألسنت مسلماً تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟

لماذا لا نجتمع على ما يصير به المسلم مسلماً . . على الحد الأدنى من الإسلام؟ يكفى أن نكون من أهل القبلة، لنقف معاً ضد هذا التيار الذى يريد أن يقتلعنا من جذورنا، لا يجوز أن نقف مكتوفى الأيدي أمام هذا المكر الكُبار، والكيد العظيم، الذى يكيد لنا أعداؤنا، وقد حدّدوا الهدف، ووضعوا الخطط، وقدروا المراحل، وشرعوا فى التنفيذ، وبدأت تظهر النتائج .

لا يجوز لنا أن نقف متفرّجين، أو نُصمّ آذاننا، ونُغش أبصارنا، وندفن رؤوسنا فى الرمال، والحقائق تواجهنا، والمصير يزعجنا ويقلقنا . لا بدّ أن نقف ونحدّد أيضاً هدفنا ونضع خططنا، نستطيع أن نفعل الكثير، لا بدّ أن نرقى بمستوى المسلمين فى الهند . . المستوى الثقافى والتعليمى .

قلت للمسلمين هناك : أطلقوا أبناءكم وبناتكم من تلاميذ الجامعات والمدارس فى العطل، يعلمون المسلمين والمسلمات ألف باء القراءة والكتابة، يحون الأمية . لا يجوز أن يبقى المسلم فى هذا العصر أمياً لا يقرأ ولا يكتب، لا بدّ من حملة يقودها العلماء والدعاة لرفع المستوى الفكرى والتعليمى لهذه الأمة .

ومن ناحية أخرى: يجب أن نرفع المستوى الاقتصادى للمسلمين، بمعنى أنه لا بدّ أن يتعاون المسلمون فيما بينهم لإنشاء مؤسسات وشركات . قد لا

يستطيع الفرد وحده أن يصنع شيئاً، ولكن القليل على القليل كثير، والبحر من قطرات، والجبل من حصيات، فلا بدّ أن نتعاون فيما بيننا حتى نرفع شأن المسلمين اقتصادياً.

ولا بدّ أن نرفع من شأن المسلمين اجتماعياً، بمعنى أن بعضنا يساعد بعضاً، القوي يأخذ بيد الضعيف، والمليء يصبّ على الفارغ، والغنى يعطف على الفقير، فنحن أمة واحدة، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»^(١).
لابدّ أن نخطّط للمستقبل، ونتجمّع فيما بيننا، وننسى الخلافات الجانيبة والمعارك الجزئية، ونقف للمعركة الكبرى معركة الوجود الإسلامي: هل نكون أو لا نكون؟ هل نبقى في الهند أو لا نبقى؟ هل تظلّ (الله أكبر) و(لا إله إلا الله) ترتفع بها المآذن أو لا؟

هذه هي القضية الأساسية، وهذا ما ينبغي أن نقوله لإخواننا ونكرره.
وأحمد الله أنّي وجدت كثيراً من الوعي وكثيراً من الاهتمام، وأصبح المسلمون يعرفون الخطر الذي يواجههم، ولا بدّ أن يواجهوا هذا الخطر، خطر التعصب والكراهية ضد الوجود الإسلامي.

إنّهم الآن - أي الهندوس - لا يسمحون بإقامة مساجد في المناطق الجديدة وكثيراً ما تكون شاسعة واسعة. . سرت في مدينة (حيدر آباد) العريقة، المدينة القديمة أجد فيها مساجد، والمدينة الجديدة لا أجد فيها أية مساجد، قلت لهم: ألا يوجد هنا مسلمون؟ قالوا: يوجد كثيرون، قلت: أين يصلّون؟ قالوا: يصلّون في المدينة القديمة، قلت: ولم لا يكون لهم مساجد؟ قالوا: السلطات لا تسمح بإقامة مساجد! بل بالعكس هم يريدون هدم المساجد القديمة إن استطاعوا بحجة

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى، كلّهم عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه. والمراد من الحديث كما أوضح العلامة المناوى: بعض المؤمنين لبعض كالبنيان أى المؤمن لا يتقوى فى أمر دينه ودنياه إلا بمعرفة أخيه كما أن بعض البنيان يقوى بعضه (فيض القدير: ٢٥٢/٦ برقم ٩١٤٣).

أو بأخرى . يستطيع المسلمون أن يقيموا المساجد الصغيرة فى القرى بعيداً، أما فى المدن فلا يستطيعون شيئاً .

لابدّ للمسلمين إذن أن يواجهوا مصيرهم بشجاعة، وبذكاء، وبعقل وحكمة .

وعلى المسلمين فى العالم العربى والعالم الإسلامى أن يشدّوا أزرهم . . أن يقفوا وراءهم . . أن يُشعروا الهند أنّ هؤلاء المسلمين جزء منهم . لا يجوز لكل جماعة أن تعيش وحدها، ولكلّ شعب أن يتصرّف وكأنّه وحده فى العالم، لو فعلنا ذلك لأكلنا وانتهكت حرماننا، وضيّعت حقوقنا .

نحن إنّما نكون قوّة إذا اتحدنا، الاتحاد يقوّى القلّة، والتفرّق يُضعف الكثرة . الكثرة تضعف بتفرّقها، والقلّة تقوى باتحادها، والله تعالى قد حذرنا من التفرّق : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] ، وليس الأمر مقصوراً على سوء العاقبة فى الآخرة ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، ولكن سوء العاقبة فى الدنيا أيضاً، فقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

وقال ﷺ : « لا تختلفوا فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » (١) .

أقول قولى هذا، واستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه من كلّ ذنب، إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم .

الخطبة الثانية :

أما بعد فىا أيها الإخوة المسلمون :

من أركان الإسلام : إيتاء الزكاة، هى الركن الثالث فى الإسلام بعد الشهادتين وإقامة الصلاة .

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود (القرضاوى) .

وقد قرن القرآن الزكاة بالصلاة في ثمانية وعشرين موضعاً، منه قوله تعالى :
﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] لا يُخلى
سبيل المشرك إلا بالتزامه بالبعد عن الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

وفى الآية الأخرى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي
الدِّينِ ﴾ [التوبة: ١١] لا يستحق المرء أخوة المسلمين الدينية إلا بإقامة الصلاة
وإيتاء الزكاة .

ولا يستحق رحمة الله إلا بإيتاء الزكاة وإقامة الصلاة : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ
كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧١] لا يستحق رحمة الله إلا من
أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الصلاة وأتى الزكاة .

وقد أقامت وزارة الأوقاف صندوقاً للزكاة، فمن ليس له أقارب يعطيهم أو
أناسٌ يعرفهم تماماً، فليدفع إلى هذا الصندوق، وليبريء ذمته، ولا يجوز أن يغلبه
الشح وحب الدنيا وحب المال، ويضيع حق الله تبارك وتعالى، فلا يكسب في
دنيا ولا أخرى .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن
ينفعنا بما علمنا، إنه سميع قريب .

* * *

(٦) القنبلة النووية الباكستانية وقضية كشمير^(١)

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

تزاحمت علىّ في هذه الأيام الموضوعات التي تفرض على الإنسان المسلم أن يتحدث عنها، أو يعلق عليها، ويذكر إخوانه المسلمين بها، وبواجبهم نحوها. أتحدث عن قضية المسلمين الأولى التي مازلنا نبديء فيها ونعيد، ولن ينتهي الحديث عنها: قضية فلسطين.. قضية القدس.. قضية المسجد الأقصى، التي تتعرض لأشدّ الأخطار، والتي لا نجد للأسف من يقوم بشأنها كما يجب القيام إلا أولئك الأبناء الذين وضعوا رؤوسهم على أكفهم وأرواحهم في أيديهم، وقد باعوها لله عزّ وجلّ: أبناء حماس والجهاد، ومن عدا ذلك فهم في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون.

على حين يقول (نتنياهو) بصريح العبارة لا بالإشارة: لست مقتنعاً بالسلام مع العرب! ولا زال يؤكد أنّ ملك إسرائيل (من الفرات إلى النيل) ولا زال رجال الكونجرس الأمريكي يعلنون أنّ سفارة أمريكا ستنتقل إلى القدس في العام المقبل.

هل نتحدث عن هذه القضية؟

أو نتحدث عن قضية أخرى فرضت نفسها في تلك الأيام: قضية إندونيسيا؟ أكبر بلد إسلامي تعرض للمؤامرات وتعرض للمغامرات، المؤامرات من القوى الغربية الكائدة والحاقدة التي تضمّر الشر للمسلمين، والتي عزّ عليها أن يكون في التّمور الآسيوية نمران إسلاميان: إندونيسيا وماليزيا، فكادت كيدها، ومكرت مكرها، حتى تُوقع هذين البلدين الإسلاميين في مشكلات اقتصادية، لتتشغل هذه البلاد بأنفسها وبمتاعبها عن طموحاتها.

هذا ما حدث في ماليزيا، ونرجو إن شاء الله أن تتغلب ماليزيا على

(١) ألقى بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة يوم الجمعة ٣/٢/١٤١٩هـ الموافق

٢٩/٥/١٩٩٨م.

مصاعبها ومتاعبها، كما لاحظت ذلك في زيارتي القريبة لها، وهي متغلبة عليها إن شاء الله .

أما اندونيسيا فقد كان فيها الاستبداد، وإذا وجد الاستبداد زرع الفساد.. زرع السرقات والاعتصاب.. الذين يسرقون الشعوب بالملايين بل بالبلاتين، وهذا سبب ما حدث من إثارة واضطرابات أدت إلى ما أدت إليه، وانتهت بخروج (الدكتور) المستبد، ووجود حكومة جديدة تعلن الإصلاح السياسي والإصلاح الاقتصادي، وتعد بإجراء انتخابات، وعلى الله قصد السبيل، وأسأل الله أن يوفق الحكومة الجديدة في خطواتها لإخراج اندونيسيا من أزمته. أتحدث عن هذه القضية؟

أم أتحدث عن قضية أخرى فرضت نفسها على العالم؟

هذه القضية حدثت بالأمس فقط: إنها القنبلة الإسلامية النووية، إنها التفجير الباكستاني النووي^(١)، خمس تجارب أجرتها دولة باكستان الإسلامية رداً على التجارب الهندية التي كانت تشكل خطراً أكيداً على باكستان، بل على العالم الإسلامي كله، فالهند متحالفة تحالفاً ظاهراً وخفياً مع إسرائيل، يجب أن نعلم هذا أيها الإخوة.

من قديم والهند متحالفة مع إسرائيل، إسرائيل تمولها اقتصادياً، وتعينها تكنولوجياً، وساعدتها في أول محطة للطاقة أنشأتها الهند سنة ١٩٦٩م، ومازالت متعاونة معها، لأنها ترى أن عدوها الأول وخصمها اللدود هو باكستان، وباكستان جمهورية إسلامية. فإسرائيل تعلم من هو عدوها، وترى أن البلاد الإسلامية كلها أعداء لها.

(١) كان ذلك يوم الخميس ٢٨ مايو ١٩٩٨م وكتب الأستاذ الدكتور احمد العسال من هناك يقول: وكم كان ابتهاج الشعب عظيماً وفرحه غامراً بنجاح التجارب حين خرج الناس الى الشوارع في كل مكان يوزعون الحلوى، ويذهبون إلى البرلمان للتعبير عن سعادتهم، ثم كيف كانت المساجد غاصة بالناس يوم الجمعة التي تلت يوم التفجير، وأقيمت صلوات الشكر ومدت الأكف وابتهلت القلوب بالدعاء إلى الله عز وجل أن يحفظ باكستان ويعينها على الدفاع عن الإسلام والذود عن حماه وحرمة، شئى فاق الوصف وذرفت الدموع تضرعاً وشكراً للحى القيوم (مجلة المجتمع الكويتية: العدد ١٣٠٣، ١٤ صفر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨/٦/٩م).

ولذلك كانت تعمل بكلّ جهدها للحيلولة بين باكستان والوصول أو الدخول فى النووى، كما حالت قبل ذلك حينما ضربت المفاعل النووى العراقى، وكما فعلت قبل ذلك حين قتلت أعداداً من الخبراء المصريين الذين يدرسون فى الغرب، من النوابغ والعبقریات الذين وصلوا إلى درجات عالية جداً فى الفيزياء النووية، فمازالت إسرائيل وراءهم حتى قتلتهم.

صحيح لم يثبت البوليس ولم تثبت التحقيقات أيدى إسرائيل، ولكن كلّ الدلائل وكلّ البراهين تشير بأصابع الاتهام إلى إسرائيل.

إسرائيل تعرف من عدوّها، ولذلك تقف مع الهند ضد باكستان، وكانت فى هذه الأيام تريد أن تضرب باكستان ضربة حتى لا ترد على التفجيرات النووية الهندية، ولكن باكستان كانت يقظة، وكانت حذرة، وكان الله معها.

ولم تستطع إسرائيل أن تحقّق أهدافها فى ضرب باكستان ومنعها من تفجيراتها النووية الناجحة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

[الانفعال: ٣٠]

كان لا بدّ لباكستان أن ترد هذا الردّ، وأن تحقّق التوازن النووى (توازن الرعب) كما يقولون.

ومنذ سنة ١٩٧٦م وباكستان تعمل جهدها حتى تحقّق القدرة النووية، والغرب يكيّد لها ويتربص بها ويحاول منعها وأقاموا الدنيا وأقعدوها حينما استطاعوا أن يأتوا ببعض مادّة (اليورانيوم) من هنا أو هناك.

ولكن الباكستانيين – منذ أن فجرّت الهند تفجيراتها الأولى سنة ١٩٧٤م – صمّموا وعزموا وأصرّوا على أن يمتلكوا القدرة النووية، وهذا من حقهم.

ولهذا فنحن نهنيء أنفسنا، ويجب أن يهنيء المسلمون بعضهم بعضاً بما حقّقه باكستان المسلمة.

لقد أقلقت هذه التجربة الباكستانية الغرب كلّ الإقلاق، وأرعبت إسرائيل كلّ الإرعاب، وأزعجت الهند كلّ الإزعاج، وزلزلت القوى المعادية للإسلام والمتربصة بالمسلمين فى أنحاء العالم زلزلاً، لمّ؟ لا أدرى لمّ؟

امتلك الناس من الديانات المختلفة القوة النووية :

اليهودية - على رغم قلة أعداد أهلها في العالم - ممثلة في إسرائيل ملكت القنبلة النووية . تمتلك إسرائيل أكثر من مائتي قنبلة نووية تهدد بها العالم العربي والعالم الإسلامي ، تمتلك ترسانة نووية بتأييد الغرب وتمويل الغرب .

والمسيحية بمذاهبها الثلاثة الكبرى : المسيحية (البروتستانتية) ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تملك القنبلة النووية ، والمسيحية (الكاثوليكية) ممثلة في فرنسا تملك القنبلة النووية ، والمسيحية (الأرثوذكسية) ممثلة في روسيا تملك القنبلة النووية .

والبوذية تملك القنبلة النووية ممثلة في الصين .

والهندوسية تملك القنبلة النووية ممثلة في الهند .

فلماذا لا يملك الإسلام ؟

لماذا يفرض على الإسلام وحده أن يكون أعزل لا يملك القوة ؟

لماذا لا تملك باكستان المسلمة القوة النووية والقنبلة النووية ؟

إنّ من حقّ باكستان ومن حقّ المسلمين أن يدخلوا العصر النووي .

لا يمكن أن يقوم سلام بين مسلّح وأعزل . . بين الناب الجارح أو المخلب الجارح واللحم الطرى . . بين الذئب والحمل . السلام لا يقوم أبداً بين القوى والضعيف ، إنّما الذي يتحقق هو قهر القوى للضعيف ، وسيطرة المسلّح على الأعزل .

إنّ رئيس وزراء باكستان قال بالأمس في ثقة المؤمن وإيمان الواثق : الآن نفتح باب الحوار مع الهند ، ولا نمنع أن نقيم معاهدة عدم اعتداء بيننا وبين الهند .

من منطق القوة . . من منطلق امتلاك القوة النووية يتحدث رئيس وزراء باكستان ، أمّا إذا كان لا يملك شيئاً فماذا يستطيع أن يفعل ؟

إنّ العالم قد هاج هياجه من أجل ما صنعت باكستان ، ولم نسمع صيحة قوية ولا تأييداً قوياً من بلاد العرب والمسلمين .

سهرت ليلة أمس لأسمع الإذاعات وأرى القنوات المختلفة، فلم أجد تصريحاً لرئيس مسلم أو ملك مسلم أو أمير مسلم أو مسئول مسلم يقول: نحن مع باكستان، ولا أدري لم كل هذا الخوف؟ لم كل هذه الهزيمة النفسية؟ باكستان تُهدد: (كلينتون) يهدد باكستان، وحلف الأطلنطي يهدد باكستان، والغرب يهدد باكستان بعقوبات اقتصادية شديدة وقاسية، فليكن ما يكون.

لقد نادى رئيس وزراء باكستان أبناء شعبه أن يشدوا الأحزمة على بطونهم، وأن يستعدوا لمرحلة قادمة.. مرحلة التقشّف.. مرحلة البعد عن الكماليات، إنها مرحلة حرب اقتصادية. بل ربما تكون حرباً أكثر من اقتصادية، فإسرائيل تهدد، والهند تهدد بضرب المنشآت النووية، فلا بد أن تكون باكستان مستعدة على قدم وساق.

ونحن نقول لباكستان: نحن الشعوب الإسلامية – لا نستطيع أن نتحدث باسم الانظمة الحاكمة، إننا نتحدث بلسان الشعوب المحكومة. نقول لإخوتنا في باكستان: نحن معكم، ونحن من ورائكم، نشدّ أزركم، ونقوى ظهركم، ونضع أيدينا في أيديكم، قلوبنا معكم، وأيدينا معكم، وألسنتنا معكم، ندعو لكم أن يؤيدكم الله بنصره، وأن يحميكم من كيد الكائدين، وحقق الحاقدين.

نحن ندعو لإخوتنا في باكستان، فإنهم لم يظلموا أحداً، لقد فعلوا ما توجبه السيادة الوطنية، من حقهم أن يمتلكوا ما امتلك غيرهم. لم يرتكبوا إثماً، ولم يقتربوا جُرمًا، ولم يخالفوا قانوننا دولياً، إنهم ما دخلوا في معاهدة حظر الانتشار النووي أو حظر التجارب النووية كما فعل للأسف أكثر العرب، أكثر العرب دخلوا في هذه المعاهدات، ولا أدري ما السرّ في دخول هذه المعاهدات وقبولهم أن يوقعوا عليها وبجوارهم إسرائيل تملك ما تملك من هذه الأسلحة المدمرة؟!!

لقد أصرّ العالم الجديد أو النظام العالمي الجديد أو القطب الأوحّد – الذى يريد أن يحكم العالم – على أن يجرد العراق من كلّ أسلحته النووية والكيمياوية

وغيرها، وأن يجردّه حتى من القدرة العلميّة، يريد أن يدمره . فلماذا لم يطالبوا
إسرائيل بما طالبوا به العراق؟!

هذا هو (المعيار المزدوج)، إنهم لا يتعاملون مع الناس بمنطليق واحد، ولا
بمعيار واحد، إنهم (المطفون) ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا
كَالَهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يَخْسِرُونَ ﴾ (المطفين: ٢، ٣)، إن الحق ليس واحداً عندهم،
إن الحق يتلون بلون من يتعاملون معه .

يا أيها الإخوة:

يجب أن يدخل المسلمون العصر النووي، لابد من أن نبين للناس أن
المسلمين ليسوا لحمًا طرياً يأكله من يريد، وليسوا فريسة سهلة كما يتراءى
لأعدائهم إن لحمهم مسموم، لا يستطيع من أراد أن يأكلهم أو يفترسهم أن
يمضغ ذلك بسهولة ويتلعه بسهولة .

نحن أمة الجهاد، نحن الأمة التي فرض الله عليها أن تدافع عن نفسها، فإما
أن نعيش عيش الأعرّاء وإما أن نموت موت الشهداء ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا
أَحَدِي الْحَسَنِينَ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا
فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢] .

إن ما نأسف له أن تقف الهند هذه المواقف مع إسرائيل، وتتحالف معها سراً
وعلانية، وأن تقف ضد باكستان المسلمة، وأن تقف ضد حقوق المسلمين في
الداخل، كما هدمت مسجد (بابري)، وأن تقف ضد كشمير، والمسلمون في
باكستان ليسوا إلا جزءاً من الأمة الهندية، فإن خالفوهم في الدين، فهم منهم في
العرق والأصل .

كان مما ينتظر - لو لم تحدث هذه التفجيرات الباكستانية - أن تغير الهند
على كشمير الحرّة لتبتلعها وتضمّها إليها بالقوة، كما فعلت مع كشمير المحتلّة .

كشمير - أيها الإخوة - وما أدراكم ما كشمير؟ إنها القضية الإسلامية
المنسيّة، القضية التي أغفلها المسلمون ولم يضعوها في بؤرة اهتمامهم . قضية
كشمير قضية، إسلامية، الظلم فيها واضح، والحق فيها بيّن .

حينما قسمت شبه القارة الهندية بين دولتين: الهند وباكستان، كان قرار التقسيم - كما قرره الأمم المتحدة - يقضى أن كل منطقة فيها أغلبية هندوسية تكون من حق الهند أو (هندوستان)، وكل منطقة فيها أغلبية إسلامية فهي من دولة باكستان، وكان المفروض وفقاً لهذا أن تكون كشمير ضمن دولة باكستان.

فكشمير أغليبتها الساحقة مسلمون - خمس وثمانون في المائة (٨٥٪) من سكانها مسلمون - وهذا من نحو ستة قرون، حينما أسلم ملكها وأسلم الكثيرون معه، وانتشر الإسلام فيها، وأصبحت ولاية إسلامية (ولاية جامو وكشمير).

كان مقتضى قرار التقسيم أن تكون كشمير وجامو مع باكستان، ولكن لأن الذي كان يحكم كشمير في ذلك الوقت ملك هندوسى جاءت الهند بوثيقة مزورة وقالت: إن ملك هذه البلاد رغب فى الانضمام إلى الهند!! والمسألة ليست بالرغبة.

لقد كان الذى يحكم (حيدرآباد) أميراً مسلماً، والأغلبية فى حيدرآباد وثنية هندوسية، وإن كان فيها أقلية مسلمة كبيرة ولها وزنها، ولكن ضمت حيدرآباد إلى الهند، دون اعتبار بحاكمها. وكان المنطق العادل والمقابل أن تضم كشمير إلى باكستان، ولكن الهند كان لها مطامع فى كشمير.

كشمير - أيها الإخوة - هى جنة الله فى أرضه، من لم ير كشمير لا يعرف حقيقتها. كشمير جنة الله فى أرضه، فيها من الحدائق والبساتين والسهول الخصبة والمزارع والأنهار والبحيرات والقمم الشاهقة مالا يوجد فى غيرها. وأهلها عندهم من الذكاء والنشاط والصناعات ما فاقوا به المسلمين فى الولايات الأخرى. ولذلك طمعت الهند فى كشمير، وضمتها إليها.

ولم يستسلم الكشميريون، وقاوموا، وجاهدوا حتى حرروا ثلث هذه الولاية، أو ما يسمى الآن (كشمير الحرة).

ثم خدعت باكستان الأمم المتحدة ورفعت القضية إلى مجلس الأمن

وقالت : إننا مستعدون أن نجرى استفتاء في هذه الولاية ليقرر أهلها : ماذا يختارون؟ أينضمّون إلى الهند أم ينضمّون إلى الباكستان؟ أم يكونون دولة مستقلة؟ ووافق مجلس الأمن على ذلك .

وكانت الهند تريد أن تكسب وقتاً حتى تثبت أقدامها، وتعدّ عدتها، وتهيئ جنودها، وتسيطر على الولاية سيطرة كاملة في كل شيء، وهذا ما حدث .

ففي سنة ١٩٥٧م - أي بعد عشر سنوات من قيام الهند وباكستان كدولتين - أعلنت الهند ضمّ كشمير بالقوة إليها . وبدأت تحاول مسخ شخصيتها، وتعليم المسلمين الهندوسية في المدارس ليخرج المسلم من المدرسة وهو لا يعرف شيئاً عن دينه، وأخذت تفرض على المسلمين التقاليد الهندوسية والقيم الهندوسية .

ولكن المسلمين رفضوا ذلك من أول يوم، وكانوا يقاومون ويجاهدون ما بين الحين والحين، وسقط منهم من سقط من الشهداء .

ولما جاءت سنة ١٩٩٠م - منذ نحو ثماني سنوات أو أكثر قليلاً - بدأ الجهاد الحقيقي، وبدأت حركة الجهاد لتحرير كشمير، وهي حركة شعبية إسلامية انضم إليها عشرات الآلاف من أبناء كشمير، وبدأوا يقاومون الجيش الهندي الوحشي المكوّن من نحو ثمانمائة ألف (٨٠٠٠٠٠) جندي هندي!

ولكنّ عشرات الآلاف من أبناء الإسلام الذين صمّموا على الجهاد والبذل دوّخوا هذا الجيش وأرعبوه، حتى أن بعضهم كان يهرب من الجيش فراراً ممّا يفعل فيهم المسلمون، وبعضهم كان يطلب إجازات، وبعضهم يطلب التسريح من الجيش، فكان من الضباط من يقتل الجنود الذين يطلبون هذه الإجازات .

لم يستطع الجيش أن ينتقم من المجاهدين، فوجّه نغمته إلى المدنيّين البراء الذين لا يملكون سلاحاً، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم، فقتلوا الآلاف وعشرات الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال، ودمروا الآلاف من البيوت، ومن

المساجد، ومن المدارس، ومن المكتبات، ومن كل ما يملك المسلمون، وفعلوا الأفاعيل بوحشية لا نظير لها، حتى إنهم اغتصبوا النساء جهاراً نهاراً.

كانوا يغتصبون الزوجة أمام زوجها، والبنت أمام أبيها والأم أمام ابنها، والأخت أمام أخيها، لا يبالون بأحد، وبعد أن يغتصبوهن اغتصاباً جماعياً عياناً بيانا يقتلونهن، عدة جنود يتعاورون على المرأة الواحدة حتى تنتهي، فإن لم تنته بالفعل أنهوها بالقتل، وقطعوا أجزاءها وفعلوا فيها ما فعلوا من تمثيل وتشويه.

هذا ما يحدث في كشمير المسلمة.

وهناك تعميم إعلامي على ما يجري هناك، الهند لا تسمح بأن يأتي مندوب صحفى أو مندوب تلفزيوني أو بأى وسيلة من وسائل الإعلام ويدخل هذه المناطق.

استطاع بعض الناس أن يتسللوا إليها حتى من الهنود أنفسهم، وكتبوا عن هذه المجازر، وكتبوا عن هذه المآسى وهذه المآثم التى تحدث، وكتبوا ذلك إلى لجان حقوق الإنسان فى العالم.

ونحن العرب والمسلمين كأن الأمر لا يعنيننا، كأن هؤلاء الإخوة - وهم نحو ثلاثة عشر مليوناً يسكنون ولاية جامو وكشمير - ليسوا إخوة لنا، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠]، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»^(١) أى لا يخذله لا يتركه لا يتخلى عنه، فكما أن الظلم حرام من المسلم للمسلم فتحلّى المسلم عن المسلم حرام.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»^(٢)،

(١) رواه البخارى فى عدة مواضع من صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما وهذا لفظه، ورواه أبو داود عن سويد بن الحنظلية، ورمز السيوطى لحسنه (فيض القدير: ٦ / ٢٧٠ برقم ٩٢٠٩).

(٢) رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، كلهم عن أبى موسى الأشعري (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٢٥٢ برقم ٩١٤٣).

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (١).

إن قضية كشمير قضية إسلامية منسية من المسلمين ومن العرب، وينبغي أن نكون مع إخواننا، نمد إليهم ما استطعنا من العون المادي والأدبي والسياسي والدبلوماسي والفكري والروحي. على الأقل ندعو لهم في صلواتنا أن ينصرهم الله على عدوهم، وأن يفتح لهم فتحاً مبيناً، وأن يهديهم صراطاً مستقيماً، وأن ينصرهم نصراً عزيزاً.

إن الهند عدوانية بطبيعتها، هي أشبه بإسرائيل في كل شيء. إسرائيل عدوانية والهند عدوانية، والله تعالى قد جمع بين الاثنين حينما قال في كتابه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ومن قديم وقف اليهود في المدينة مع مشركي مكة الوثنيين ضد محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢]، قالوا: إن المشركين والوثنيين أهدى من محمد والمؤمنين معه! وهم أهل كتاب مثلهم ويدعون إلى التوحيد!

هؤلاء الهنود لهم مطامع في البلاد التي تحوطهم، هكذا ذكر كثير من قادتهم في كتبهم بصراحة، وأنه لا أمان لهم إلا إذا استولوا على نيبال وعلى باكستان وبنغلادش وبورما وأفغانستان وماليزيا، حتى يصلوا إلى سنغافورة! هكذا قالوا.

بل قالوا: إنه لا بد لنا أن نؤمن البوابتين الرئيسيتين: سنغافورة وقناة السويس!

(١) رواه أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، ورواه البخاري في (الأدب المفرد) لكنه أبدل (مثل) بـ(ترى). ينظر (فيض القدير للمناوي ٥/٥١٤ برقم ٨١٥٥).

تصوِّروا هذه مطاعمهم، حتى قال من قال منهم: إنَّ الكعبة كانت معبداً هندوسياً قديماً والعرب استولوا عليه!!! كأنَّ لهم مطاعم حتى في الكعبة، ولا نستغرب من هذه الأشياء، فقد كنَّا نقول عن مطاعم اليهود إنَّها (هلوسات وأضغاث أحلام)، ولكن كثيراً ما تصبح أضغاث الأحلام حقائق واقعة حينما يغفل الناس عن مصايرهم وحينما يلهون عن حقائق الوجود من حولهم.

إننا مع هذا للأسف نفتح الصدور، ونفتح الأبواب، والدور، للهنود المشركين، يملأون ساحاتنا، ويدخلون بيوتنا، ويساكنوننا ويسوقون لنا، وندفع إليهم أموالاً ورواتب تتحوَّل إلى خناجر وأسلحة ضدِّ إخواننا المسلمين.

أين الوعي العربي الإسلامي؟ أين صحوة هذه الأمة؟ يجب أن نعرف: من لنا ومن علينا؟ من هو صديقنا ومن هو عدونا؟ وإذا عرفنا ذلك فقد سرنا خطوة أولى في الطريق الصحيح. نسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا، وأن يهدينا سبلنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن ينصرنا على عدوِّه وعدونا، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم وادعوه يستجب لكم.

* * *

(٧) الرحلة إلى اليابان (١)

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

أريد أن أحدثكم عن رحلتي الأخيرة إلى اليابان. فقد زرت اليابان قبل ذلك مرتين: مرة في أواسط السبعينيات، ومرة في أواخر السبعينيات من هذا القرن العشرين.

وهذه هي المرة الثالثة.

في المرتين السابقتين كان الوجود الإسلامي في اليابان ضعيفاً، فلم أحسّ به. ولكن في هذه المرة أحسست بهذا الوجود.

والدعوة جاءتني من المراكز الإسلامية هناك، فقد أصبحت هناك مراكز، وأصبحت هناك مساجد، وأصبحت هناك أماكن تجمع فيها المسلمون، وأصبح هناك مسلمون يدرسون من البلاد الإسلامية.

انفتحت اليابان على العالم، وكانت مغلقة على نفسها من قبل، وأعطت منحاً دراسية لطلاب من العرب، وطلاب من باكستان، ومن بنغلادش، ومن اندونيسيا وهم أكثر عدداً.

هؤلاء الطلاب يحملون حماس الشباب وإيمان الشباب، وحيث وجد الشباب المؤمن وجد العمل ووجد النشاط ووجدت الهمة، لهذا كان الوجود الإسلامي في هذه المرة ظاهراً عن المرتين السابقتين.

والمسلمون من قديم يتحدثون عن اليابان، وعن نشر الإسلام في اليابان، وعن استعداد اليابانيين للدخول في الإسلام منذ نحو قرن. وهذا الحديث ينتشر في المجلات الإسلامية والصحف الإسلامية.

ومن أكثر من تسعين عاماً نُشر في مصر وفي الهند وفي عدد من البلدان:

(١) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ٢٢/١/١٤١٨ هـ الموافق ٣٠/٥/١٩٩٧ م.

إنَّ امبراطور اليابان سيقم مؤتمراً دينياً ليختار فيه أحسن الأديان لليابانيين!! ولم يكن هذا نبأ صحيحاً.

فالامبراطور لا يمكن أن يفعل هذا، لأنه مصدر ديني عند اليابانيين. اليابانيون يعتبرونه إلهاً أو ابن الآلهة، لا يكادون ينظرون إليه، إذا مشى موكبه في الطريق، فالتناس ينحنون راكعين، ويخلعون أغطية رؤوسهم، ولا يجوز أن ينظروا إليه، ومن نظر إلى الامبراطور عوقب قانوناً!!! حتى العساكر والجنود الذين يصطفون في الطريق تحية للامبراطور يديرون إليه ظهورهم ولا ينظرون إليه.

فمثل هذا لا يمكن أن يتخلى عن دينه، وأن يبحث عن دين آخر، ولكن هكذا انتشر الخبر في البلاد الإسلامية. وذهب من ذهب إلى اليابان في ذلك الحين، ولعلهم كانوا يريدون إقامة مؤتمر للأديان للتعرف على الأديان، وليس للتخلي عن دينهم.

وفي ذلك الوقت سافر أحد علماء الأزهر من المصريين . . من الصعيد . . من (جرجا) اسمه : (على الجرجاوى)، كان يصدر مجلة في القاهرة اسمها : مجلة (الإرشاد)، ودعا علماء مصر ورجال الأزهر أن يذهبوا إلى هذا المؤتمر في اليابان، ولما لم يستجب له أحد باع عدة أفدنة مما يملك في الصعيد، وقطع تذكرة في الباخرة، وذهب إلى اليابان مروراً بـ (ينيغ) و (جدّة) و (عدن) و (بومباي) و (سنغافورة) و (هونج كونج)، إلى أن وصل إلى اليابان وفي الطريق تعرّف على أحد الصينيين قال عنه إن اسمه : سليمان الصيني، وهذا سليمان الصيني عرفه على رجل يعيش في اليابان من رونسيا اسمه الحاج (مخلص محمود) .

وحينما وصلوا إلى اليابان تعرّفوا على رجل هندي يدعى (حسين عبد المنعم)، ثم تعرّفوا على رجل ياباني، وصاروا خمسة، وكونوا جمعية دينية لنشر الإسلام.

وقال الشيخ الجرجاوى في كتابه الذي سمّاه (الرحلة اليابانية)^(١) : إنَّ

(١) طبعته مطبعة جريدة الشورى بمصر سنة ١٣٢٥، وقد عثر عليه الدكتور عبد الودود شلبي عام ١٣٨٢ هـ بالمكتبة الأزهرية القديمة، وكتب حوله مقالة بعنوان (الرحلة اليابانية) نشرتها مجلة (الأمة) القطرية في عددها الصادر في شوال ١٤٠٦ هـ (صفحة ٥٢ - ٥٥)، ووصف الكتاب بأنه أشبه بالذكريات اليومية للزعماء والمشاهير.

الناس أقبلوا عليهم، وكانوا يشرحون الإسلام باللغة العربية، وهذا الياباني الذي أعطاهم منزله تبرعاً منه، ودخل في الإسلام، كان يجيد الإنجليزية كما يجيد اليابانية لغته الأصلية فكان يحدث أناساً بالإنجليزية وأناساً باليابانية.

وقال الشيخ الجرجاوي: إنه دخل في الإسلام حوالي اثني عشر ألف شخص!! ولكن في الواقع هذه الآلاف المؤلفة لم نجد لها أثراً حينما زرت اليابان في أواسط السبعينات. لأنه ليس المهّم أن يعلن الإنسان دخوله في الإسلام ثم تدعه في محيطه فيذوب في هذا المحيط كما يذوب الملح في الماء، إنّما المهّم أن تتابعه وأن تعلّمه الإسلام، وأن تحاول أن تعيشه في جوّ إسلامي ومحيط إسلامي. لهذا ظلّ اليابانيون بعيدين عن الإسلام. دخل منهم من دخل في الإسلام، وذهب منهم من ذهب للدراسة في الأزهر، كان منهم علماء درسوا في الأزهر.

ومنذ نحو خمسة عشر عاماً أو ثمانية عشر عاماً جاءنا طالب ياباني هنا في الدوحة، ليدرس في كلية الشريعة في جامعة قطر، وظلّ عدّة سنوات، ولكن اللغة كانت مشكلته، كيف يستطيع أن يفهم الفقه وأصول الفقه والعقيدة وهذه العلوم باللغة العربية؟! وعجز هذا الطالب وعاد إلى اليابان، بعد أن حصل بعض العلم، وإن لم يكمل المسيرة.

وفي رحلتي هذه حضر هذا الطالب إحدى محاضراتي وسلّم عليّ، وقال لي: ألا تذكرني؟ قلت: واللّه أذكر شكلك، قال: أنا (مُعَمَّر) الذي كنت تلميذك في كلية الشريعة في قطر، وأنا الآن محاضر في كلية العلاقات الدولية. المهّم أنّه أصبح يوجد الآن مسلمون، البعض يقدرّونهم بعشرات الآلاف، ولكن اعتقد أنّ هذا التقدير مبالغ فيه، هم بضعة آلاف، ربما كانوا خمسة آلاف أو عشرة آلاف أو نحو ذلك، لا يزيدون على ذلك فيما أظنّ.

ولكن الإسلام بدأ ينتشر فيما بينهم، ووجود هؤلاء الشباب - الذين يعيشون بالإسلام ويعيشون للإسلام - مهّم في نشر الإسلام بين اليابانيين، وإن كنت أخذت على كثير منهم أنّهم يأتسون من انتشار الإسلام هناك.

قال بعضهم: إنّ اليابانيين قوم مشغولون يعملون في اليوم اثنتي عشرة ساعة، وربما خمس عشرة ساعة، وليس عندهم وقت للنظر في الأديان، وهم قوم

عمليون يهتمون بالجانب العملى، أما الجانب الفكرى والجانب العقيدى فهم يكتفون بما ورثوه .

ولكنى قلت لهم: أنا لا أوافقكم على هذا، اليابانيون هم صنف من البشر الذين بعث الله إليهم محمداً ﷺ .

دعوة محمد ﷺ دعوة عالمية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، وهؤلاء من الناس ومن العالمين .

وما الذى يميز اليابانيين عن غيرهم؟ ألم ينتشر الإسلام فى الصين بالقرب منهم منذ القرن الأول الهجرى؟! وهؤلاء الماليزيون، وهؤلاء الأندونيسيون، وهؤلاء الفلبينيون، قريبون منهم وقد انتشر الإسلام بينهم! ما الذى يمنع من انتشار الإسلام بين اليابانيين؟

بالعكس، نحن نعتبر اليابانيين أقرب إلينا، فليس بيننا وبينهم ثارات قديمة كما فى الحروب الصليبية التى بيننا وبين الغرب . وليس بيننا وبينهم صراعات حديثة كما حدث بيننا وبين الدول التى استعمرت البلاد الإسلامية واحتلت أراضيها .

هم شقيون مثلنا، نعتزّ بنهضتهم، وبيننا وبينهم مودة، فلماذا نقيم الحواجز بيننا وبين هؤلاء القوم؟! .

وهم يعيشون فى ظلّ الحضارة المادية التى غزتنا، ويحتاجون إلى دين صحيح يعرفهم بربهم . . يعرفهم باليوم الآخر وما فيه، بدل عقيدة تناسخ الأرواح التى يؤمنون بها .

اليابانيون ينتشر عندهم دينان :

دينهم الأصلي (الشنتوية)، وهو دين الإمبراطور .

والدين الآخر (البوذية)، وحوالي ثمانين في المائة (٨٠٪) من أهل اليابان يدينون بالبوذية.

البوذية مذهب فيه خرافات كثيرة مثل (تناسخ الأرواح): إن الإنسان بعد أن يموت تحلّ روحه إمّا في مخلوق أسوأ منه، قد تحلّ في كلب أو خنزير أو حمار أو نحو ذلك، وقد تحلّ في إنسان. الخ.

وعندهم أن الإنسان يستطيع أن يشتري اسماً له فيرقيه من مرتبة إلى مرتبة، الكهنة يبيعون هذه الأسماء بعد الموت، والناس يشترونها بحوالي عشرين ألف دولار أو تزيد!!!

مجرد الاسم ينقلهم من مرتبة إلى مرتبة، ويجعلهم من أهل الخير ومن أهل الجزاء الحسن!!

هذه الخرافات تنتشر بينهم.

ولذلك هم في حاجة إلى عقيدة سليمة. إلى دين صحيح، ولن يجدوا هذا الدين إلا في الإسلام.

كلّ ما في الأمر أننا لم نبّغ رسالة الإسلام كما ينبغي. نحن المسلمين عامّة والعرب خاصّة مسؤولون عن الدعوة إلى الإسلام في العالم، سيسألنا الله عن هذه الأمم التي ضلّت عن الصراط المستقيم، ولم تهتد إلى الله، ولم تعرف عقيدة التوحيد ولا رسالة محمّد عليه الصلاة والسلام، سيسألنا الله عن ضلال هذه الأمم التي لم تسمع عن الإسلام. بعضها لم يسمع عن الإسلام قط، وبعضها سمع عنه ما يمنع من النظر إليه، سمع صورة لا تحمل على البحث عن الإسلام. صورة مشوّهة. صورة كريهة عن هذا الدين، الذين قام به رجل في جزيرة العرب: السيف في يد والنساء في الناحية الأخرى. الخ هذه التشويهات التي صوّرت بها رسالة الإسلام ورسول الإسلام ودعوة الإسلام.

لابد أن نبذل جهداً في تعريف الناس بهذا الدين.

النصارى وصلوا إلى اليابان منذ سنين قليلة. عشرات السنين. حينما

وصلوا إلى اليابان قالوا: ما هذه اللغة؟! اللغة اليابانية هذه لغة صنعها الشيطان لا نستطيع أن نترجم إليها الأناجيل!

اللغة صعبة جداً؛ لأنها حروف ورسوم وصور كلها، ولكنهم فرغوا منهم شباباً درسوا هذه اللغة حتى أتقنوها، ثم بدأوا يخاطبون الناس بلسانهم، وينقلون الإنجيل إليه، وأخذوا يبشرون بالنصرانية وينصرون الناس ويدخلونهم في النصرانية.

وهم لا يريدون من الناس إلا أن يعلنوا أنهم مسيحيون، يقولون: فقط قل (أنا مسيحي) ولا نريد منك شيئاً، نعمدك ولا نطلب منك أمراً، وهذا أمر سهل يسير.

المسلمون على عكس ذلك، يريدون من الناس حينما يدخلون في الإسلام: كيت وكيت وكيت وكيت!! لا يأخذون الناس بالتيسير أول ما يقولون لهم: عليكم أن تصلوا. وكم تصلون؟ الصبح: أربع ركعات، والظهر عشر ركعات، والعصر ثماني ركعات. . . الخ. يقول الناس: هذا كم هائل لا نستطيعه. ويقولون لهم: لا تفعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا!!!

وأول ما يطلبون منهم أن يمتنعوا منه: شرب الخمر واليابانيون مولعون بشرب الخمر، كأنها الماء عندنا: الخمر شيء أساسي لديهم، ولو كانت (بيرا) على الأقل.

قال الإخوة هناك: هذه عقبة أمامنا. قلت: لو أن الإسلام فعل مع العرب ما فعلونه مع اليابانيين، ما دخل العرب في الإسلام. لأن الإسلام جاء والعرب مولعون بشرب الخمر، وكانوا يسمونها بأكثر من مائة اسم، وكم كان لهم شعر في مدحها؟ وكم وصفوا مجالسها وأقداحها وندماءها؟ وكم قال قائلهم:

إذا متّ فادفني إلى جنب كرمة ترؤى عظامي بعد موتي عروقتها!!

هذه هي الخمر، فلو جاء الإسلام من أول الأمر وقال: امتنعوا عن الخمر، لقالوا: والله لن ندخل في الإسلام. إنما أبقاهم على هذا الأمر وأخذهم بالتدريج، حتى نزلت الآية الحاسمة في سورة المائدة في أواخر العهد النبوي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبُواهُ
لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ * إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩٠﴾ [المائدة: ٩٠،
٩١] فقالوا: قد أنتهينا يارب، أنتهينا يارب.

كان الرجل منهم يمسك بالكأس شرب بعضها وبقي منها البعض، فلم
يكمّل الكأس وأفرغها في الحال وقال: أنتهينا يارب. لم يقل ما قال امرؤ القيس
قديماً: اليوم خمر وغداً أمر، لا، بل ذهب إلى مافى بيته وأخذ قرب الخمر ومزقها
وأفرغها وأسالها في الطرقات، إعلاناً بالبراءة من هذا الأمر.
لابد أن نتدرّج بالناس.

إن النبي ﷺ حينما جاءه رجل يسأله عن الإسلام قال: «خمس صلوات
في اليوم والليلة، فقال: هل عليّ غيرهنّ؟ قال: لا إلا أن تطوّع، وصيام شهر
رمضان، فقال: هل عليّ غيره؟ فقال: لا إلا أن تطوّع، وذكر له رسول الله ﷺ
الزكاة فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوّع، فأدبر الرجل وهو يقول: والله
لا أزيد عليّ هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله ﷺ: «أفلق إن صدق»^(١) أو
«دخل الجنة وأبيه إن صدق»^(٢).

وفي حديث مماثل قال: «من سرّه أن ينظر إلى جل من أهل الجنة فلينظر إلى
هذا»^(٣).

(١) رواه البخارى، ورواه مسلم واللفظ له، عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه. وانظر
شرح السنة للبعثى بتحقيق الأرنؤوط والشاويش: ١ / ١٨ - ١٩ برقم ٧).

(٢) هذه الزيادة أخرجها مسلم في صحيحه (كتاب الايمان: باب بيان الصلوات التي هي
أحد أركان الإسلام). وقوله في الحديث: «وأبيه» كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها
تريد بها التأكيد غير قاصدة بها حقيقة الحلف، والنهي عن الحلف بالأباء ورد فيمن قصد حقيقة
الحلف لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته به الله سبحانه وتعالى، ويُحتمل أن يكون هذا قبل
النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

انظر (صحيح مسلم بشرح النووي: ١ / ١٦٨) ط. دار الفكر.

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب
والترهيب: ١ / ٢٥٤ برقم ٣٩٢).

حينما أرسل النبي عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل إلى اليمن قال له :
«إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول
الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل
يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من
أغنيائهم فتردّ فى فقرائهم...»^(١).

هكذا منهج التيسير والتدرّج .

هذا يحتاج إلى داعية موفّق يركّز على الأساسيات، ولا يدخل فى
التفصيلات والفروع والهوامش، التى يثقل بها كاهل الإنسان الداخل فى
الإسلام، هذا نتركه يتعلّم ثم يترقى هو شيئاً فشيئاً .

فى أوّل الأمر نركّز على أداء الفرائض واجتناب الكبائر، حتى لو أن هناك
كبيرة لا يستطيع أن يتخلّى عنها مثل (شرب الخمر) نقول له : إن شاء الله ستوفّق
فيما بعد إلى اجتنابها .

ما المانع من أن يدخل فى الإسلام وهو شارب الخمر .

لابدّ أن يكون عند الداعية أفق واسع يركّز على الأساسيات ويدع
الهوامش، يركّز على الأصول ويدع الفروع، لا يدخل فى الأمور المختلف فيها .

بعض الناس الذين يدعون إلى الإسلام يدخلون الداخل فى الإسلام فى
مناهات، يحدثونه فى أمور لا حاجة له فيها، يحذّره من الطواف بالأضرحة ومن
تقديس الأولياء! وما حاجته إلى الأضرحة وإلى الأولياء وليس عنده لا أضرحة
ولا أولياء؟! هؤلاء قوم لا يدفنون موتاهم، يحرقون الموتى، فما عاد عنده قبور ولا
أضرحة ولا شئى من هذا .

وهناك من يدخل الداخل فى الإسلام فيما تختلف فيه المذاهب بعضها

(٤) رواه مسلم فى صحيحه (كتاب الإيمان : باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام) .

وبعض! لا نريد أن ندخله ولا أن نربطه حتى بمذهب، بل نربطه بالإسلام العام. ما حاجته أن تقول له: أنت حنفى أو أنت مالكى أو أنت شافعى؟! ليدخل فى الإسلام العام، ويسأل فيما يعن له من تيسر له من أهل العلم.

قال لى الإخوة: نحن محتاجون إلى أن نختلط بهؤلاء حتى نعلمهم الإسلام، والاختلاط يترتب عليه أشياء منها:

١ - أننا لا بد أن نأكل طعامهم:

قلت لهم: كلوا طعامهم. الشيخ رشيد رضا رحمه الله قال: إن هلاء البوذيين وغيرهم يعاملون معاملة الجوس، وقد سئل النبي ﷺ عن الجوس فقال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»^(١)، وقد كان الجوس يقولون بالهين اثنين: إله للخير والنور وإله للشر والظلمة، وكانوا يعبدون النار، ومع هذا رأينا النبي ﷺ قال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب».

٢ - قالوا: يعرضون لنا الخمر فى حفلاتهم. قلت: هل يلزمونكم بشرب الخمر، قالوا: لا، بل هم مؤدبون جداً معنا، لا يطلبون منا أن نشربه، ولكن نحن نجلس فى مجتمع يشرب فيه الخمر. قلت: يا أخى هذه سهلة، لأن المحرمات أنواع ومستويات، هناك محرمات لا تباح بحال لا لضرورة ولا لغير ضرورة مثل تحريم نكاح الأم والبنت والعممة والخالة والأخت ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

(١) رواه البيهقى من طريق جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر الجوس فقال: ما أدرى كيف أصنع فى أمرهم؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» ينظر (السنن الكبرى للبيهقى: ٩/١٨٩ - ١٩٠) ط. دار المعرفة بيروت.

غَفُورًا رَحِيمًا ﴿[النساء: ٢٣] هذه لاتباح بحال من الأحوال . وهناك محرّمات تباح للضرورة مثل أكل الميتة والدم والخنزير، الله تعالى يقول: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وهناك محرّمات تباح للحاجة، أى أقل من الضرورة. العلماء قالوا: ما حرم لذاته يباح للضرورة، وما حرم لسدّ الذريعة يباح للحاجة.

فجلوس الإنسان فى المجالس التى يُشرب فيها الخمر محرّم لسدّ الذريعة ليس لذاته . شرب الخمر محرّم لذاته، إنّما أن تجلس فى مجلس يُدار فيه الخمر هذا حرم لسدّ الذريعة، فهذا يباح للحاجة. إذا كنت فى حاجة إلى أن تختلط بهؤلاء وتقرب منهم لترغبهم فى الإسلام، فلا بأس فى هذا ولا حرج إن شاء الله . نحن فى حاجة إلى الداعية الذى ينظر إلى الإسلام بعين وإلى الواقع بعين أخرى، ويزاوج بين الواجب والواقع، ويقترّب من الناس ويعرف مشاكلهم ويخاطبهم بلسانهم، وهذه مشكلة .

النصارى كما قلت لكم قالوا: إن المشكلة هى اللغة، ثمّ عرفوا لغة القوم، وأدخلوا من أدخلوا فى النصرانية، وصار لهم عشرات الجامعات البروتستانتية وبضع عشرة جامعة كاثوليكية .

نحن فى حاجة إلى أن ندرس اللغة اليابانية لغة القوم، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

للأسف لا يوجد عندنا مؤسسات للدعوة العالمية تدرّس هذه الأمور، وتبعث إلى كلّ قوم من يخاطبهم بلغتهم .. بلسانهم .

فى سنة (١٩٧٨م) اجتمع المبشرون البروتستانت فى (كلورادو) فى أمريكا، وكان هدفهم العمل على تنصير مسلمى العالم، ورضدوا لذلك ألف مليون دولار، وكونوا لذلك معهداً اسمه (معهد زويمر) باسم هذا المنصر العتلّ القديم، الذى كان مقرّه فى البحرين فى أوائل هذا القرن، أرادوا أن يحيوا ذكره بإنشاء هذا المعهد: معهد مهمته أن يخرج منصرين للمسلمين .

ما معنى منصرين للمسلمين؟

يعنى أناساً متخصصين فى تنصير المسلمين: منصر يذهب إلى جنوب أفريقيا، وثان يذهب إلى شمال أفريقيا، وثالث إلى شرق أفريقيا، ورابع إلى غرب أفريقيا، وغيره يذهب إلى وسط أفريقيا، كل واحد من هؤلاء عليه أن يدرس القوم الذين سيبشّر فيهم، يدرس لغتهم.. يدرس اللهجات المحلية.. يدرس العقيدة السائدة: أى عقيدة هى؟ هل هى العقيدة السلفية أو العقيدة الأشعرية؟ أى طريقة من الطرق منتشرة بينهم؟ القادرية أم النقشبندية أم التيجانية؟ أى مذهب يسود بينهم: المالكي أم الشافعي أو الحنفي؟ ما هى الشخصيات المؤثرة فيهم؟.. الخ، ويعيش بينهم ويعرف كل شىء عنهم.

نحن فى حاجة إلى أن نفعل هذا، وأنا أقول ليس معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] أنك تكلم اليابانيين باليابانية والصينيين بالصينية فقط، لا، إنما تكلم كل قوم باللسان الذى يفهمونه والذى يؤثّر فيهم. تكلم الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام، تكلم أهل الشرق بلسانهم وأهل الغرب بلسانهم، المتحضرون لهم لسان والبدو لهم لسان، أهل الريف لهم لسان وأهل المدن لهم لسان، لا بد أن تخاطب كل قوم بلسانهم.

نحن لم نعد العدة لهذا الأمر للأسف، لم نهىء الدعاة الذين ينتشرون فى العالم، ديننا دين عالمي، ومع هذا لم ننشره فى العالم.

المسيحية ليست ديناً عالمياً، المسيح قال: أنا لم أبعث إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالّة، ولم يقل أنه بعث للعالمين. النبى الوحيد الذى أعلن أن دعوته للعالمين هو محمد عليه الصلاة والسلام، ومع هذا لم نبّغ العالم دعوته.

العالم مفتوح لنا الآن، نستطيع أن ننشر دعوتنا بشتى اللغات ما استطعنا، نستطيع أن نوجّه دعوتنا بالإذاعات الموجهة إلى العالم، نستطيع أن نبعث بها إلى العالم كلّه عن طريق المحطّات الفضائية، نستطيع ولكن لم نفعل هذا.

أين أغنياء المسلمين؟ أين الملايين التي تذهب هنا وهناك؟ لماذا لا ترصد كما رصد أولئك (ألف مليون دولار) جمعوها من أغنياء النصارى، ألف واحد من كبار المليونيرات.. من كل واحد مليون.. جمعوا الألف مليون بأسهل ما يكون، وما أكثر من عندنا ممن يستطيعون أن يعطوا مليوناً ولكن أين هؤلاء؟^(١).

نحن في حاجة إلى تكوين دعاة ينتشرون في أرجاء العالم، وينشرون الإسلام فيه.

تصوّروا أنّ معظم لغات العالم لا يوجد فيها ترجمة صحيحة للقرآن

(١) يقول الشيخ على الجرجاوى - رحمه الله - فى كتابه (الرحلة اليابانية) موجّهاً كلامه إلى الاغنياء والموسرين من المسلمين: «أما أنتم أيها الاغنياء والموسرون، فإنكم خالفتم سيرة كل ذوى الغنى واليسار من الامم الأخرى، تلك السيرة التي أنتم بها أولى وأحرى، إذ أنتم تجهدون أنفسكم ليل نهار فى كسب الدرهم والدينار، وتبذلون ما تجمعونه فى سبيل الملاحى والعقار ومظاهر الأبهة والفخار، أو فى لعب القمار، أو تكتنزونه خوفاً من الدهر أن يوقعكم فى شرك الفقر، أو تدلّون به إلى الحكام طمعاً فى رتبة أو نيشان، أو يساعدكم على ظلم فلان وفلان. أما هؤلاء فإنهم يبذلون أموالهم فى نشر العلوم والصنائع، وغير ذلك من وجوه المنافع، وبذلك سادت الامم الراقية وارتفعت بمقدار انحطاطكم فى الهمم.

أليس من الخسران المبين أنكم تمنعون زكاة المال، ولا تؤدون شكر المنعم به عليكم وتذهبون فى كل صيف من كل عام إلى أوروبا وتبذرونه ذات اليمين وذات الشمال فى سبيل شهواتكم النفسية، وبعد صرف الدرهم والدينار تفدون محتقبين الأوزار والذل والعار على حين أنكم ترون الاغنياء من الامم الأخرى تجود بالمال للبعثات العلمية والدينية وترقية العلوم العصرية؟ ماذا عليكم لو فتحتم اكتتاباً لتأليف بعثة دينية تسافر إلى بلاد اليابان وتنشر التعاليم الدينية، والعقائد الإسلامية، على أن المال لديكم لا يوزن بالميزان بل يكال بالقفزان؟ هل يوجد منكم ألف، ولو على وجه التقريب، يجود كل واحد بنصف ما يصرفه فى شهواته البهيمية ليكون بذلك قد خدم دينه ووطنه ونفسه، أما دينه فلأنه سعى فى الدعوة إليه، وأما وطنه فلأنه بفعله هذا يجعل الامم الأخرى ترمق المصرى بعين الاعتبار، وأما نفسه فلأنه أكسبها فضيلة من أعظم الفضائل؟!

هذه كلمتى قلتها، وإنى على يقين بأنها لا تعدم منصفاً كشف الله عن بصيرته حجاب الضلال، ولا تلبس عليه الحق بزور المقال؛ كما أنها لا تعدم من من خلقه المجادلة فى الله بغير علم ولا هدى، والله يرشدنا إلى الطريق المستقيم (تنظر مقالة الدكتور عبد الودود شلبى عن الرحلة اليابانية فى مجلة الأمة القطرية شوال ١٤٠٦ هـ ص ٥٥).

الكريم، بل لا توجد ترجمة مرضى عنها من المسلمين فى أى لغة، حتى اللغة الإنجليزية التى هى أشهر اللغات التى يتكلم بها مئات الملايين من المسلمين، لا توجد فيها ترجمة صحيحة لمعانى القرآن أو لتفسير مختصر للقرآن الكريم.

المسلمون مقصرون

نحن فى حاجة إلى أن نعرض ديننا على العالم، ونقيم الحججة على الناس ونُعذر إلى الله تعالى.

صحيح أن العالم المتقدم الآن وصل إلى القمر، وغزا الفضاء، وصنع الكمبيوتر، وصنع هذه الثورات المعروفة: الثورة البيولوجية، والثورة الالكترونية، والثورة المعلوماتية... الخ هذه الثورات، ولكن الإنسان الذى وصل إلى القمر لم يستطع أن يسعد نفسه على ظهر الأرض، هو فى حاجة إلى دين يحقق له معنى وجوده ويعرفه سر حياته، ولماذا يعيش، ولماذا يموت: وماذا بعد الموت؟ لا يوجد هذا إلا فى رسالة الإسلام.

نحن مسئولون عن إيصال هذه الرسالة إلى البشر جميعا، ونحن قادرون لو أننا جعلنا هذا فى بؤرة الشعور، وجعلناه نصب أعيننا، ولم نجعله على هامش حياتنا.

نحن أمة دعوة، فالله تعالى يقول لرسوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] كل من اتبع محمداً عليه الصلاة والسلام فهو داع إلى الله، وداع على بصيرة.

نحن أمة مبعوثة كما قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ ميسرين ولم تُبعثوا معسرين»^(١).

نحن مبعوثون بما بعث به نبينا عليه الصلاة والسلام. قال ربيع بن عامر لرستم قائد جيوش الفرس - حينما سأله: من أنتم؟ وما الذى أخرجكم من

(١) رواه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها، ورواه عنها أيضا البيهقى فى السنن لكن قال الذهبى فى المهذب هو منقطع (فيض القدير للمناوى: ٥٧٣/٢ برقم ٢٥٨٦).

بلادكم؟ - نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام!

انظروا إلى هذا الصحابي الذي لم يتخرج في جامعة، وإنما تربى في مدرسة محمد ﷺ، لحص أهداف الإسلام الكبرى، وفلسفة الإسلام الكلية في هذه الكلمات، لم يدخل في التفاصيل التي يدخل فيها بعض الدعاة، قال له: الإسلام جاء يحرر الناس من عبادة الطواغيت حتى يعبدوا الله وحده، ويعرفهم بالعدل الذي هو هدف الرسالات السماوية كلها، ويخرجهم من جور الأديان وتطرفات الأديان إلى عدل الإسلام ووسطية الإسلام.

هذا ما ينبغي أن نعرفه.

نحن في حاجة إلى أن نجعل هذا الأمر من أوليات حياتنا.

اليابانيون يمكن أن يدخلوا في الإسلام لو وجدوا الدعاة الصادقين.. الدعاة الذين يعيشون بالإسلام وللإسلام. وأنا قلت للإخوة: إنكم تؤثرون في اليابانيين بسلوككم أكثر مما تؤثرون بكلامكم، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال.

بماذا انتشر الإسلام في البلاد التي دخلها؟ هل انتشر بالسيف كما يقول المبشرون والمستشرقون وأمثالهم؟ لا والله، إن السيف قد يفتح أرضاً، ولكنه لا يفتح قلباً.

وهناك بلاد لم يدخلها جيش إسلامي ولم تعرف السيف قط: اندونيسيا.. ماليزيا.. الفلبين.. بنغلادش، حتى الهند التي دخلها المسلمون، دخلوا جزءاً معيناً منها بجيوشهم ثم انتشر الإسلام بطريق الدعوة ومعايشة المسلمين الصالحين. افريقيا انتشر الإسلام فيها بطرق الصوفية والتجار، وهكذا.

ذهب الناس من اليمن ومن حضرموت وغيرها إلى ماليزيا واندونيسيا ليشتروا البهارات وهذه الأشياء التي عرفت بها هذه البلاد، ويوردوها بلادهم، ورآهم الناس فوجدوا فيهم الصدق في القول والأمانة في العمل، والتواضع للناس، وحب الخير والشهامة والنجدة وكل صفات الخير.

وجدوهم يعبدون الله، إذا جاء وقت الأذان أذّن المؤذن فقاموا وتطهّروا وصلّوا صفوفًا، اعجبوا بهم وسألوهم: من أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون. قالوا: ما الإسلام؟ فأجابوهم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، فتصبح أخًا لى وأصبح أخًا لك، ونتعاون على البر والتقوى. هل هناك شيء مطلوب منىّ لأدخل فى الإسلام؟ لا، ما مطلوب منك شيء، تعلن فقط (أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله) وتلتزم بأحكام هذا الدين، لأنّ الإسلام ليس فيه تعميد ولا طقوس لمن يريد الدخول فيه. ولا فيه شيء من هذا.

وفى عصرنا وجدنا أناسًا للأسف كما حكى لى أحد كبار المسئولين فى أندونيسيا فى أواسط السبعينيات قال: أرادت بعض القبائل فى أندونيسيا أن تدخل فى الإسلام فذهبوا إلى بعض المشايخ من العلماء الكبار، وقالوا لهم: نريد أن ندخل فى الإسلام، فقال لهم: تستطيعون أن تدخلوا بشرط، قالوا: وما هو الشرط؟ قال أن تختتنوا!! فأعرضوا عن الإسلام.

هذا إنسان خائب اعتبر الاختتان شرطاً، من قال: إن هذا شرط؟! يستطيع الإنسان أن يفعل هذا فيما بعد، و هو ليس من الأركان ولا الفرائض. إنما هو من سنن الفطرة.

فلا بدّ أن يكون هناك عقل مسلم يستطيع أن يدخل الناس فى الإسلام.

اليابانيون قريبون جداً منّا، وعندهم عادات طيبة، من هذه العادات:

الحياء، الحياء صفة عامّة، اليابانى رجل حيمىّ، رجل مؤدّب مهذب. لهذا لم أجد فى اليابان كلّها من يقبّل امرأة فى الطريق، كما وجدت ذلك فى أوروبا وأمريكا، هذا المشهد لا يوجد فى اليابان تلقائياً.

هم أناس مؤدّبون، ويحترمون الكبير ويرحمون الصغير، كما هو شأن الإسلام: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا»^(١). الكبير عندهم

(١) رواه أحمد، والترمذى واللفظ له، وابن حبان فى صحيحه، وصحّح شاكر إسناده، وقال الترمذى: حسن غريب، وفى بعض النسخ: غريب فقط، وتمتته: «ويامر بالمعروف وينه عن المنكر» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٤٥ برقم ١٣٨١).

يُحترم، بل كلّ سابق يحترم، يحترمون الأقدم: الأقدم سنّاً.. الأقدم في الخبرة والوظيفة.. الأقدم في الصف.. الذي يسبقك في الصف يصير هو أولى منك فلا تحاول أن تتقدّم عليه.

ويحترمون الصغير، الطفل محترم عندهم جدّاً، الرجل الكبير يقوم للطفل ليجلسه!

وعندهم النظام التعليمي يهتمّ بالأطفال اهتماماً بالغاً، ليت بلادنا الإسلامية تحاول أن تستفيد من النظام التعليمي في اليابان.

الأمريكان قالوا لليابانيين: تعالوا فانظروا في مناهجنا التعليميّة وانقدوها، وماذا فيها من عيوب؟ وماذا فيها من نواقص؟ وماذا تقترحون للعلاج؟ الأمريكيان فعلوا هذا، لأنّهم كانوا يرون أنّ نظامهم التعليمي يكاد ينهار، وكتب منهم من كتب كتاباً معروفاً تُرجم إلى العربية تحت عنوان: (أمة على حافة الخطر). ينبغي أن نستفيد من هؤلاء.

اليابانيون يهتمون بشخصيّة الطفل وبناء شخصيّته، الأطفال – كما قيل لى – مسئولون عن مدارسهم، لا يوجد في مدارس اليابان فرّاشون ولا فرّاشات! الأولاد هم الذين ينظّفون المدرسة ويحمّلونها ويزيّنونها، ويحمّلون الطفل هذه المسئولية.

ويحمّلونه مسئولية جماعيّة، يغرسون فيه روح الجماعة من أوّل الأمر: الألعاب ألعاب جماعيّة، العمل أعمال جماعيّة.

نحن في حاجة إلى هذا الأمر، وهذه الروح.

قال لى أحد الإخوة: إن ابنه كان في إحدى المدارس اليابانيّة وارتكب خطأ.. دفع المدرّسة فوقعت، فأخذته بالرفق، فعرفت بذلك والدته فقالت لها: لماذا لم تخبرينا بهذا الأمر؟ قالت لها: ولماذا أخبركم؟ هو ابني كما هو ابنكم!

والطفل ينبغي أن نسامحه، إذا ارتكب عشر غلطات نسامحه في تسع ونحاسبه على واحدة، ونأخذه بالرفق حتى يدع هذه الأشياء!!
انظروا إلى هذه الرحمة، وهذه العناية بالطفولة.
اليابانيون عندهم فضائل طيبة.

ولكن أيضا عندهم قدر من المادية والفردية:

قال لى بعض الأخوة: يمكن أن يموت الرجل هنا جوعاً ولا يجد أحداً يمد إليه يد المعونة! وهذا ما لا يمكن أن يحدث في ديارنا طبعاً.

ثم من ناحية أخرى: الآن غزتهم الحضارة الغربية، الجيل الجديد بدأ يتغير عن الأجيال القديمة، قد غزتهم أفلام الجنس وأفلام العنف الأمريكية. وذهب الشباب إلى بلاد الغرب بدأ يؤثر عليهم، ويفسد من أخلاقهم، ويغير من طبائعهم وسلوكياتهم، وهذا هو الخطر على هذه الأمة.

المهم أيها الإخوة: أننا في حاجة إلى أن نعرف هؤلاء القوم، وأن ننشر فيهم دعوة الإسلام، وأن نبلغهم رسالة الله.

نحن أمة مسئولة عن تبليغ رسالة الله إلى العالم، نحن مسئولون عن هذا بصفتنا أمة، وبصفتنا أفراداً.

نحن - كأفراد ينبغي أن نبحث عن هذا الأمر و يسأل كل منا نفسه: ماذا قدمت أنا للإسلام؟ ماذا بذلت في سبيل نشر الإسلام؟

أنت مسئول عن هذا، كل مسلم مطالب بهذا، لقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. هل دعوت إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟ هل جادلت بالتي هي أحسن؟ ينبغي على كل مسلم أن ينظر في هذا الأمر.

ويوم نشعر بهذه المسئولية الكبرى سيتغير الحال.

إن بلاد المسلمين وسوء أوضاعها، تقف حاجزاً في سبيل نشر الإسلام،

لأنهم يقولون: إذا كان الإسلام بهذه الصورة التي تعرضونها فلماذا نرى بلادكم على عكس ذلك؟ إذا كان الإسلام يدعو إلى العلم فما بال المسلمين جهلاء؟ وإذا كان يدعو إلى القوة فما بال المسلمين ضعفاء؟ وإذا كان يدعو إلى النظافة فما هذه القذارة التي تضرب أطنابها في بلاد المسلمين؟ وإذا كان يدعو إلى النظام فما هذه الفوضى؟ وإذا كان يدعو إلى التآخي فما هذه العداوة بين المسلمين بعضهم وبعض؟ وإذا كان وإذا كان . الخ، فنحن الذين نقف عقبة في سبيل الإسلام.

يجب أن نصحح مسالكنا ونصلح من أحوالنا، وأن نجتهد في نشر ديننا، ولن يترنا الله أعمالنا، والمستقبل لهذا الدين إن شاء الله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿

[التوبة: ٣٢، ٣٣]

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لبي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *